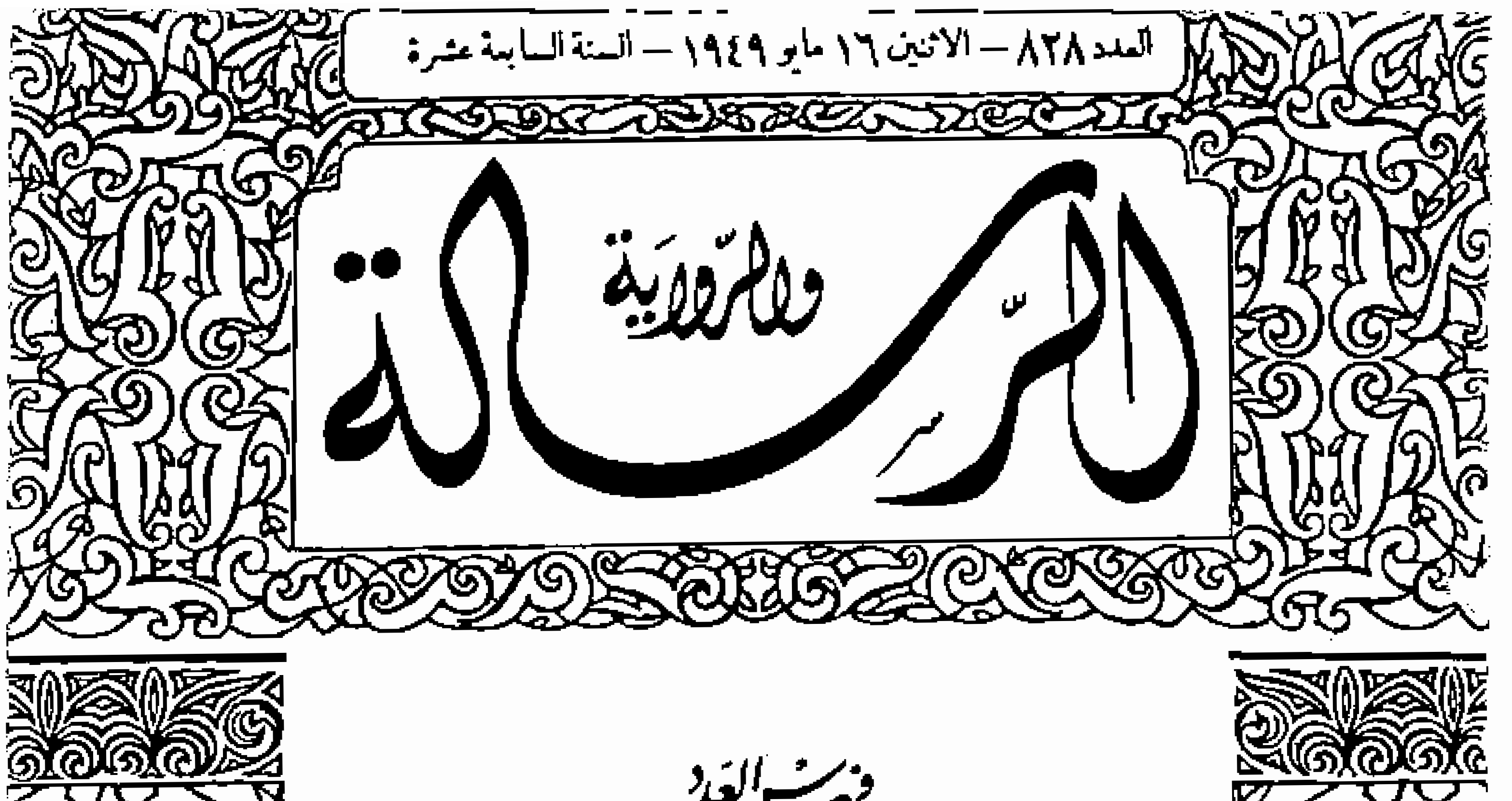
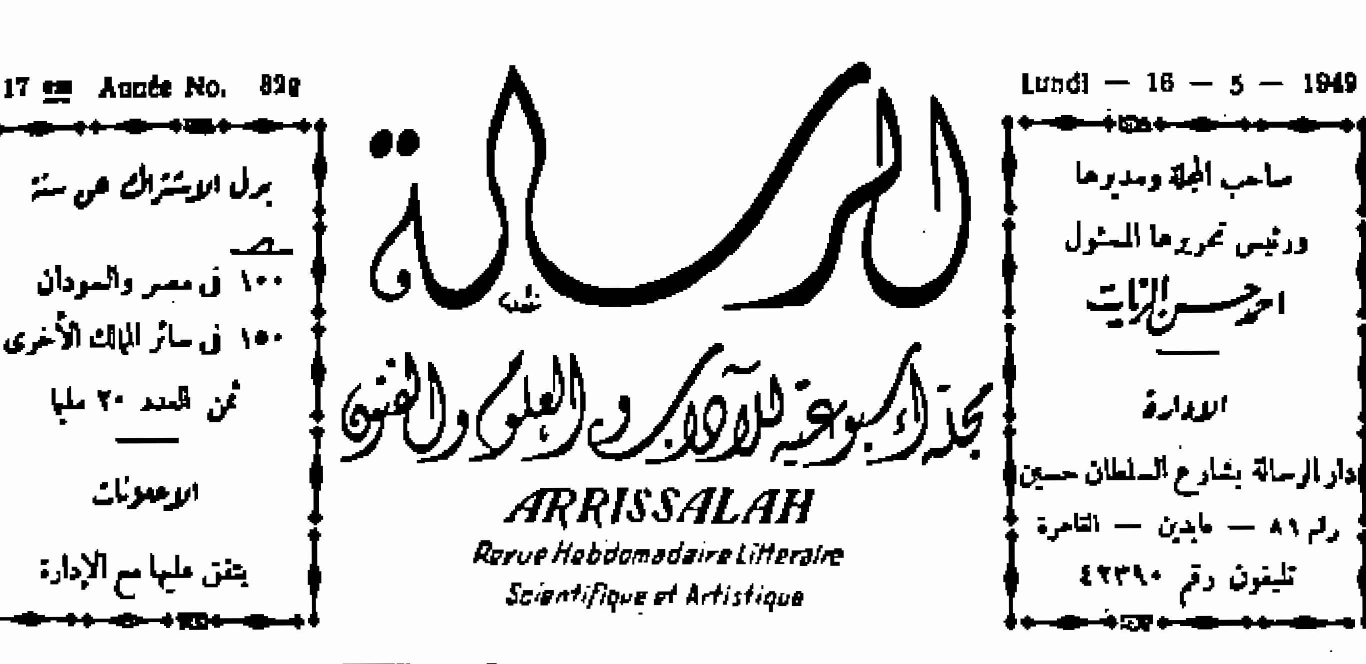


فهرس العدد

٣٢٠٤٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العـــدد ٨٢٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ رجب سنة ١٣٦٨ — ١٦ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٤ ـ أمم حائرة

الهداية والرقابة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

إن قامت الجماعة على غير طريقة، وعملت على غير خطة، فكيف تستقيم على محجّة، وكيف تقصد إلى غاية؟ وإذا انبهمت الغاية، واشتبهت السبل، ساغ لكل جاهل أن يدل على الطريق، واستطاع كل ناعق أن يقول: «هذا هو النهج» وليس بعد هذا إلا الضلال والحيرة.

لا بد من عقل رقيب، وفكر ناقد، ورأي سديد. ولا بد أن يكون للعقل والفكر والرأي طريقة تؤدي إلى الناس نصيحتها، ونظام يعرّف الناس بدعوتها، وقانون ينفذها. فلا تضيع الآراء السديدة في ضوضاء المضلّين، وصيحات المبطلين. ولا بد من رقابة الجماعة ومن سلطانها متمثلّين في نظام الحكومات وفي الطوائف التي تقر لها الجماعة بالهداية والرقابة والتقويم.

إني لأرى أموراً تحدث في نظام الأسر وسنن الجماعة، لا يُعرف كيف نشأت؛ وهي لا تجد من أولي الشأن رعاية إن كانت صالحة، ولا حرباً إن كانت فاسدة. وأرى كثيراً من العادات تشيع على كره عقلاء الأمة والمصلحين فيها. فأسأل نفسي وأسأل أصحابي: لمن قيادة الجماعة؟ وبأي يد أزمّتها؟ فأرى أحياناً أن مبتدى هذه العادات الكريهة، ودعاة هذه العادات السيئة، من أصحاب الهوى المولَعين بالتقليد، أو طائفة من التجار الساعين وراء الكسب بأية وسيلة، ومن أصحاب الملاهي وأشباه هؤلاء. فهؤلاء يقضُون في أمور تُحسب هينة، وهي في سير الجماعة ذات عواقب وخيمة؛ يراها المفكرون المبصرون وتكلُّ عنها أبصار من لا يتجاوزون الظاهر، ولا يدركون ما بعد اليوم. هؤلاء، ومن ورائهم الدهماء، يسيّرون الجماعة أحياناً بأهوائهم ومآربهم، ويدهمون الخيار فلا يستجاب لهم، ويقول المصلحون فيُسخر منهم، ويُغضي أولو الأمر تهاوناً واحتقاراً، عن أمور يرونها صغيرة وما هي بصغيرة.

قد شمل القانونُ والنظام كلَّ الجوانب في الجماعات الحاضرة قانون الحكومة وقانون الهيئات التي تقرها الحكومة على اختلاف النظم والأسماء.

كانت الجماعات، فيما سلف، لا ينالها القانون والسلطان إلا في بعض شئونها؛ ولكن حكومات هذا العصر تشرف على كل شيء، وتحاول الإصلاح في كل شيء، بالإجبار أو الإرشاد؛ فالتعليم والصحة والرياضة وأمور اجتماعية كثيرة تتولاها الحكومات أو هيئات تقرها الحكومة وكانت من قبل لا تعنى بها الحكومات إلا قليلا.

فلا جرم أن هذه الحكومات والجماعات المختلفة قادرة على الهداية والرقابة والتقويم والتهذيب إن عنيت بالأمور النفسية

والاجتماعية العناية الخليقة بها

وليس في الهداية والرقابة جور على الحرية . فإن الحكومة والهيئات الأخرى مشتقة من الأمة قائمة باختيارها ورضاها . والأمة تنتبط بأن تتقيد بكل نظام صالح ، وتربط بكل خلق كريم وسنة جيدة ، وتصد عما يضر بها ويذهب بسعادتها .

ثم الصحف والمدارس ما خطبها في التقويم والإصلاح والقيام على النشء والإشراف على الجماعة ؟ إن خطبها لعظيم . فأين هي من احتمال الأمانة والاضطلاع بالعبء وتأدية الواجب ؟ إن لكل منها لحديثاً ، وأبدأ بحديث الصحافة :

هي من نعم هذا العصر ومحاسنه ، وهي من نقمه ومساوئه . وهي عظيمة الخطر كبيرة الأثر في الجماعات . تطلع على الناس صباح مساء بأخبار وآراء ، وعلم وفن ، وأمر ونهي ، وجد وهزل ، لا تدع أمراً مما يهم الإنسان في معيشته الخاصة ، أو أحوال الجماعة التي يعيش فيها ، أو الأمم الأخرى إلا عرضت عليه خبراً عنه ، أو رأياً فيه ، أو نبذة من علم يتصل به ، أوفن يرجع إليه ، أو تاريخ يبينه ، أو قصة تصوره .

وهي تنتشر في كل جانب وتلقى الإنسان في طريقه وداره ومدرسته ومتجره ومصنعه وحيثما كان في شأن عام أو خاص ، تطلبه وإن لم يطلبها ، وتقتحم عليه وإن لم يدعها .

وأمر الصحافة أبين وأوضح ، وأشيع وأجلى من أن يعنى الكاتب ببيانه ، أو يحس حاجة إلى الكلام فيه .

فانظر كيف أثرها إن صدقت ، وتحرت الصدق ، وطلبت الحق ، وأخلصت في طلبه ، وعملت للخير ودعت إليه ، وسارت على طريقه لا تحيد ولا تضل ، ولا تميل ولا تزيغ ، ولا تجور ولا تحابي !

وانظر كيف أثرها إن خلطت صدقاً بكذب ، ولبست حقاً بباطل ، وعملت لنصرة فرد أو طائفة أو حزب ، وزينت لها العصبية أن تزين كل ما يقول حزبها وما يفعل ، وإن تقبح كل ماينطق به خصمها وما يعمل ! وانظر كيف أثرها إن بغت الانتشار والربح بكل وسيلة ، واحتالت لها بكل حيلة ، ولم تبال صلاح الناس وفسادهم ولا خيرهم وشرهم ! وانظر كيف هي إن فتنت القراء وأضلتهم وتركتهم على قلق وتردد في آرائهم وأعمالهم ، ولبس وحيرة في أخلاقهم وآدابهم . وأقامتهم في بيداء مضلة لا تبين سبلها ولا تعرف أعلامها ؟ كيف أثرها إن احتالت على القراء بما يهوى القراء ، بل بما يهوى عامة القراء ، وبما يستهوى الدهماء من قصة مفسدة وصورة فاتنة وما إلى القصص والصور من أنواع لم يصدرها عقل ولم يراقبها وجدان . إن الداء عضال وإلى الله المشتكى .

إن الصحافة خبر ورأى ودعوة وتعليم . وشروط هذه كلها التثبت والنقد وقصد الحق والخير والإخلاص فيه ابتغاء وجه الله؛ فليس كل ما يسمع من الأخبار يروى قبل التثبت والتحري . وليس كل ما يصح بعد التثبت والتحري ينشر حتى ينظر أهو جدير بالنشر ؟ أيستحق أن يذكر ؟ أليس في نشره إثارة فتنة أو إضرار بفرد أو جماعة ، أو إفشاء لسر يحسن أن يكتم ، أو إظهار لأمر يجمل أن يستر ؟ ومرجع هذا كله إلى وجدان القوام على الصحف وعلمهم وبصرهم وإخلاصهم . وإن لم من أولئك رقيباً أكبر من كل رقيب وأعظم شأناً وأقوى سلطاناً من الحكومات والقوانين .

وأما أن يختلق الخبر ، أو ينشر دون تثبت ، أو يذاع لنكاية أو لتشنيع أو تسميع أو إثارة فتنة فيها هوى للناشر أو مصلحة له أو لحزبه ، فهذا تنكره مروءاتنا وأخلاقنا وديننا وتاريخنا . ومهما يقل القائلون في حرية الأخبار وحق النشر ، فلن يجد من عقولنا قبولا ولا في ضمائرنا رضا . فليتق الله في أنفسهم ومواطنيهم وأمتهم وفي الناس جميعاً هؤلاء الكاتبون وهؤلاء القائمون على الصحف .

وأما الرأي فعماده علم ونظر وترو . فإن رمى بالرأي دون إحاطة بموضوعه ، أو دون تفكير فيه ، أو بغير إعمال الروية كان حرياً أن يبعد من السداد ، وأن يخذله الرشاد ، وكان خليقاً أن يضل ويضل ويفسد ولا يصلح .

فهل الآراء التي تطلع بها الصحف صباح مساء ، أعطيت حقها من المعرفة ، وشرطها من الروية ، وحظها من الإخلاص ؟ أي فارق بين الكاتب الذي يكتب فيما لم يحط به علماً ، وبين المعلم الذي يتكلم على تلاميذه وهو لم يحط بدرسه ولم يوله بحثاً وفكراً ؟

هذا ، إن حاد بالرأي عن الصواب جهل أو تهاون أو عجلة . فاياك إن زاغ به هوى ، وأريد به تضليل ، وقصد به إلى مأرب؟ وكيف إذا اختلفت الأهواء وكثرت الآراء وكلها لا تهدى إلى الحق ، ولا تبتغى الخير ، ولا تبالى إلا بهزيمة الخصم والتسميع به

الأدب بين عالمين

للدكتور إبراهيم سلامة

نحن نعيش بين عالَمين يتجاذباننا ويحاول كل منهما أن يردنا إلى ناحيته: «العالم الخارجي» و«العالم الداخلي». ولك أن تقول إننا لا نحيا متجاذبين بين هاتين القوتين، بل نحن نعيش فيهما؛ فلنا حواس تنقل ما تقع عليها، فتدرك العين المرئيات، والأذن المسموعات، واليد الملموسات. فحواسنا تنقل إلينا صور الحياة كما هي، ولكننا لا نعيش في هذا العالم المادي وحده، وإلا ضقنا به وتخلصنا منه، وكان من حرم حاسة من هذه الحواس كأنما أغلق أمامه باب من أبواب المعرفة بالحياة. وما هكذا خلقنا وما هكذا نعيش! فنحن نعيش أيضاً في عالم داخلي من إدراكنا لما تجلبه حواسنا، ومن تأويلاتنا لهذه المدركات بعد عرضها على ما فينا من حاسية وميول ونوازع وتفكير نحلل به ما يرد إلى نفوسنا، وذكاء نرد به ما يرد علينا من العالم الخارجي إلى الناحية التي نجد فيها منفعتنا وصلاح شئوننا وغذاء عواطفنا. ومن هنا ما يقول «ديكارت»: من أن «الأشياء التي تحرك حواسنا تهيج فينا الميول المختلفة لا للاختلافات الكثيرة التي تدور بها المحسات، ولكن لاتصال هذه الاختلافات بنفعنا أو ضررنا»

ومن هنا أيضاً ما قاله «مال رانش» من أن حواسنا أمينة مخلصة في تعليمنا العلاقات المختلفة التي بيننا وبين ما يحيط بنا من الأشياء في العالم الخارجي؛ ولكنها مع أمانتها وإخلاصها لا تعطينا صورة صادقة عن كل ما نحس به، فما حواسنا إلا هبة إلهية لحفظ حياتنا».

فديكارت الفيلسوف ومال رانش الأديب متفقان على أن العالم الخارجي الذي تربطنا به حواسنا ليس عالمنا وحده، بل فينا ميول تهيج وتثار بتلك الآثار الحسية ليست صورة صادقة لما نحس به، فنحن نعيش أيضاً في عالمنا الداخلي الذي يحررنا من

والقارىء الساذج في حيرة بين الآراء المتصادمة، والأهواء المتقاتلة حتى يميل به طبعه أو هواه إلى جانب، أو تستمر به الحيرة والضلال.

إن كل من يمسك قلماً ليكتب في صحيفة يتصدى لأمر عظيم، ويتحمل تبعة جسيمة. فليتق الله في كل فكرة يفكر فيها، وفي كل كلمة يسطرها. ولينظر ما أثر فكرته وكلمته في أمته، وما حق هذه الأمة عليه.

وأما الدعوة فينبغي أن تكون إلى الأخلاق العالية والسنن الصالحة يُدعى إليها بكل وسيلة، وتسلك إليها كل سبيل. وينبغي أن يحذر كل الحذر من الدعوة، صريحة أو خفية، إلى التحلل من الأخلاق والفرار من التبعات؛ فإن النفوس قد احتملت أعباء الواجب وصبرت عليها ولم تبال بما فيها من مشقة وحرمان؛ ابتغاء ما هو أعلى وأشرف وأعظم؛ ابتغاء الحق والخير وإيثاراً لما هو أجل من خير الناس وصلاحهم. فإن ارتابت في هذه الأعباء الثقيلة ودعيت إلى الدعة، وإيثار الأهون عليها والأحب إليها، والاستجابة إلى الأهواء، والإخلاد إلى اللذات والخضوع للمطامع، والسكون إلى سفاسف الأمور والإشفاق من جليلها. صادفت الدعوة منها هوى ولقيت منها إصاخة واستراحة إليها باطناً وإن نفرت منها ظاهراً، إلى أن يضعف الوجدان الذي يحبب إلى النفس إيثار الأشق الأعظم من الأمور، وإلى أن تُنسى الهمة التي تتقدم بالإنسان على الصعاب وتنأى به عن اللذات؛ استجابة للمعاني الجليلة التي يسيِّر الله بها البشر إلى الكمال الذي قدره لهم.

إن الإنسان يعيش تحت أوقار من الواجبات وأواصر الأخلاق وتكاليف المجد، كما يعيش تحت أثقال من الضغط الجوي. فإن دعي إلى طرح هذه الأعباء واستراح إلى هذه الدعوة هلك كما يهلك إذا خف عنه ضغط الجو. ورب كلمة فاتنة أو قصة ساخرة تنقض في نفس الناشئ أو تزلزل كل ما أسست التربية في نفسه، وتاريخ البشر في فؤاده! فلينظر الكاتبون وليتقوا الله.

وأما التعليم فكذلك يعمل له الفكر والنظر، ويختار ما هو أنفع للناس وأقرب إلى الصواب من الأمور النفسية والآفاقية على هدي العلم، وإرشاد التجارب وهلم جرا.

ما أقدر الصحافة على الإصلاح! وما أقدرها على الإفساد! وما أكثر الصالح منها في عصرنا هذا وفي بلدنا هذا وما أكثر الفاسد منها! فمن كان مصلحاً فليزدد إصلاحاً، ومن كان مسيئاً فليرجع من إساءته.

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

الخضوع للعالم الخارجي ، ويجعلنا عبيداً له عبودية العالم إلى الملاحظة والمشاهدة والاستقراء ، وعبودية التقليدي إلى قاعدته يلتزمها ويقيس بها مسائل العالم . والعالمان كما ترى مشتبكان متداخلان ، ولكن ينفرد العالم « بالعالم الخارجي » يستمده في الملاحظة والمشاهدة ، وينفرد الأديب « بالعالم الداخلي » يستغرق فيه ويتسع بطبيعته لتأملاته وتصوراته . إن الأديب الذي استمتع بمنظر من المناظر الجالية ، ثم جلس بعد مشاهدته إلى مكتبه إنما يجلس إلى تأملاته ، ويجلس إلى صور وتصورات قد تكون موادها الأولى من العالم الخارجي عالم المحسات ، وقد يزيد فيها وينقص مما يهبها من حيوية وخيال وإضافات لم تكن لها في عالمها الأول . والفرق بين الوقفتين هو الفرق بين ما يسميه علماء النفس « بالخيال الاسترجاعي » و« الخيال الابتكاري » وإذا كان الخيال الثاني أسمى من الخيال الأول سمواً قد يصل إلى درجة الاختراع في الصور العقلية ، وإلى درجة الخلق والابتكار والإبداع في الصور الأدبية ، فذلك لأن الخيال الاسترجاعي يعتمد أكثر ما يعتمد على استعادة المحسات كما هي في العالم الخارجي ، في حين يعتمد الخيال الابتكاري على العالم الداخلي الذي يمده بكثير من القوى النفسية التي تعتبر أساساً للجدة والابداع .

إن عالم الحس ضاغط ملزم ؛ أما عالم الصور والتصور فحر طليق . إنني أمام شجرة وقع عليها نظري لا بد لي من أن أراها لأنها وقعت على مدى نظري؛ ولابد لي من أن أراها شجرة ، ولا يمكنني أن أقول إلا إنها شجرة . أما الأديب فله أن يقول « إنها كلمة طيبة كالشجرة الطيبة » وله أن يقول إن صاحبه الذي لا فائدة فيه كشجر السرو « له رواء وما له ثمر » ولابن الرومي أن يقول إن صاحبه جاف جامد كشجر الخلاف :

فغدا كالخلاف يورق للعيـ ـن ويأبى الإثمار كل الإباء

أن المحسات تتحكم في الأدب لأنها ضاغطة ملزمة كما قدمنا . فلا حرية للأديب أمام العالم الخارجي ، أما في عالمه الداخلي فحر طليق يتحكم في صوره حتى ولو جاءته من عالم الحس فيطاردها ويعمل أخرى عليها فيجمعها ويفرقها ويتركها أمامه ، تتجمع وتتفرق، وتتناصر وتتزاحم ، وتتوالد وتتقلص ، ليؤلف خياله كما يريد ، أو لتطاوع هذه الصور خياله كما يريد أن يبرزها الخيال . فعالم الحس يعرف بشاراً ضخماً قوياً لو توكأ على جدار لانهدم الجدار ؛ ولكن بشاراً لا يرى في برديه إلا جسماً ناحلاً « لو توكأت عليه لانهدم » والناس تسمع المتنبي وتراه ملء العين وملء برديه ، ولكنه يرى نفسه ضئيلاً هزيلاً ، بل يريد أن يخاتل الناس في حواسهم ليروه كما يرى نفسه من النحول والذبول ولولا كلامه ما كان في جسمه تمم يدل على حياته :

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

إن « تين » شيخ النقديين في الأدب والنقد إذا كان لا يرى في « الصورة » إلا أنها « إحساس ضعيف » ، وإذا كان « أبنجهوس » من علماء النفس يفرق بين الإحساس والصورة فيرى أنها باهتة مصفرة كأنها من بادة الأثر ، وإذا كان غيره من علماء النفس أمثال بهنس لا يرى في الصورة إلا مادة ضئيلة شفافة متشممة محيلة قابلة للذوبان بل للتبخير ، فأن الأدباء يحيون مثل هذه الصور ويرون فيها مادتهم المطاوعة للخيال ، ومن ثم للخلق والابتكار . فلنحذر إذن علم النفس فلا نتورط في تقسيماته وقواعده إذا أردنا أن نحتفظ للأديب بمواده ؛ فإن الصور هي متاع الأديب ينضده كيفما شاء ويستمتع بمرآها ولو كان باهتاً مصفراً . إن علم النفس « بموضوعيته » الحاضرة التي يريد بها أن يثبت شخصه أمام غيره من العلوم يريد أن يضغط على « الذاتية » التي يعتز بها الأدب ولا يمكنه أن يتخلص منها لا في الانتاج ولا في النقد . فكما أن للأديب عالمه كذلك للأديب « علم نفسه » الذي لا يجب أن يخضع لعلم النفس الخاص دائماً ، بل له أن يتحكم فيه أحياناً .

إن هذه الصور الباهتة قد تتجسم أمام الأديب حتى لتكون حقيقة ماثلة أمامه ، وحتى لا يستطيع أن يفرق مع تسلطها بين الحقيقة وبين الخيال ؛ وفي هذا الاتصال أو المزج سر الأدب . فأجله ما تخيلت فيه لترجع بحقيقة ، وما حققت فيه لترجع بخيال . فحقيقة الأدب تبدو لجدتها أنها متخيلة ، وخيال الأديب يبدو لإمكان وتوهم أنه حقيقة واقعة . فسر الجمال الأدبي في الإضافات التي نضيفها إلى العالم الخارجي ، وفي الذاتية التي ندركها من الصور الداخلية سواء أكانت صوراً نفسية محضة ، أم صوراً خارجية تحولت إلى صور نفسية وباعدنا بينها وبين عالمها الأول بما أضفينا عليها من الذاتية . إن الأدب وجماله في هذه الزيادة التي نضيفها إلى القيم الوجودية في العالم الخارجي ، وإلى القيم الاصطلاحية اللغوية . وإن الذوق الأدبي ليس في القيم اللغوية للألفاظ ولا في

القيم الحقيقية للمعاني ، بل في القيمة التقديرية التي يهبها الأديب هبة للألفاظ وللمعاني ، أي في القيمة التصورية . وبعبارة حديثة في الانسجام الذي نحسه في الموسيقى، ونحسه أكثر عند النشاز ، وفي الملاءمة التي نحسها بين الألوان في التصوير ، ونحسها أكثر إذا اختلطت هذه الألوان ونبا بها النظر ، وفي الفترات الزمنية التي نحسها في التقسيم والوزن والفواصل وإيراد المعنى؛ هذا التقسيم المعبر عنه بالمقابلة أو Symetrie . وبقدر احتفاظنا بهذه التقديرية أو الإضافية تتكون نظرتنا للأدب . فالأدب «الكلاسيكي» اهتم بالقيم الحقيقية وغالى فيها . والأدب «الرومانتيكي» اهتم بالقيم الإضافية والفردية التي نضيفها إلى القيم الوجودية الحسية والعقلية . وقد غالت الرومانتيكية في أهمية القيمة الإضافية الجمالية فأصبح كل شيء في نظرها فناً ، وكل ظاهرة ولو علمية فنية؛ حتى لقد قيل إن الطبيعة نفسها عمل فني ، وإن الكائن الحي نفسه فن . فالفن الحديث ليس في إضافة قيمة جمالية إلى قيمة علمية فحسب ، بل في اتحاد الفكرتين : العلمية والجمالية في صورة تدرك في العمل العقلي المستمر .

هذه المغالاة في الرومانتيكية وهذا التعصب للكلاسيكية أثارا الأدباء والنقاد في القرن التاسع عشر؛ فإن سانت بيف Sainte Beuve وتين Taine وغيرهما بعد سنة ١٨٥٥ قاموا للمناداة بالحقيقة في الأدب Le vrai وكانت قومة ضد الرومانتيكية وضد الكلاسيكية معاً ، وفي مصلحة مذهب «الريالزم» (الحقيقة) في الأدب . لقد ابتدأ أنصار المذهب بوصف العالم الخارجي وحده فالتجأوا إلى الحياة نفسها يصفونها كما هي ، ويصفون الأحياء في الأحياء الفقيرة كما هم ، ولكنهم أخفقوا لأن الوصف كان لمجرد الوصف لا للحكم عليهم ولا للاهتمام بهم ، فكانوا كالنباتيين الذين ينظرون إلى المزروعات التي أمامهم من غير أن يميزوا بين أنواعها ولا بين الفروق البارزة في هذه الأنواع . وكشفت هذه النهضة عن أمثال ستاندال وبلزاك وفلوبير ممن جعلوا لهذه المدرسة الحديثة معالم مقررة ، ثم بعد العمل الأدبي خيالياً محضاً أو فردياً محضاً يصدره الأديب وهو في عالمه الداخلي من غير رعاية للحياة . فلقد نادى فلوبير بأن الإنتاج الأدبي لا بد أن يكون موضوعياً وأن يكون في نفس الأديب عكساً ذهنياً لما تعرضه الحياة مؤسساً على مصادر حقيقية يطيل الأديب فيها النظر ليتخير منها ما يريد (العالم الخارجي) هذه المصادر لا تشل الخيال ولا تمنعه الحركة ، فإنه سيكون الرقيب على هذه المصادر والصور يتخير منها ما يلائم مع نفسه وخياله (العالم الداخل) ، فكان فلوبير يجري هنا وهناك وراء الحقيقة التي تتفق وأحلامه ، وبذا ينتقل عمله الأدبي من أن يكون مجرد وصف أو مجرد تحليل علمي إلى أن يكون خلقاً وابتكاراً . لهذا أسبغ فلوبير على أدبه نوعاً من المنطق ولكنه منطق الحياة ، واقترض كثيراً من الصور العقلية للطب والفلسفة ، ولكنه لم يقترض من الطب والفلسفة قوانين بل اقترض منهما معنى الحياة . وأعمال الأبطال في رواياته تبدو طبيعية كما تبدو المسببات من الأسباب ، فالوسط والظروف والأمزجة التي تعيش فيها شخصياته الروائية هي التي تقودهم بدوافعها وتعقدها وتطلعاتها ورغائبها إلى مصائرهم ، وكأنها أسباب لنتيجة حتمية واقعية . وهذه الحقيقة أو هذه الواقعية في الموضوع قادت أسلوب فلوبير إلى الصورة المعبرة والكلمة الحقيقية والوزن المنسجم والرقابة على خياله حتى لحق أسلوبه بالكلاسيكية في كثير من مظاهره ، وبعد عن الرومانتيكية باعتماده على الواقع؛ فقد كان يجمع بين حقيقة العبارة والكلمة في معناها الحاضر ، وبين حقيقتهما في معناها الدائم المعروف .

وكان إدموند ، وجول دي كونكور ، من أصحاب نظرية المصادر Theorie du document (العالم الخارجي) ولكنهما لم يقفا موقفاً فاتراً بارداً أمام هذه المصادر ، فكانا فنانين تلتهب أعصابهما وتتألم لتألم الإنسانية (العالم الداخل) فابتكروا صوراً وكلمات جديدة وأخضعاها لإحساسهما وخيالها حتى قادها هذا الازدواج من ناحية إلى مذهب الطبيعة Naturalisme ، ومن ناحية أخرى إلى مذهب التأثريين Impréssionnisme

بعد ما تقدم نتنكر الأدب ونتنكر رسالة الأديب بل نتنكر طبيعة النفس إن حاولنا أن نجعل من الأدب أداة وصفية لما يقع تحت أسماعنا وأبصارنا لنكون واقعيين من غير أن نتعرض لما تحدثه هذه المناظر والمشاهد في نفوسنا من ألم وامتعاض أو لذة ومسرة ؛ ونتنكر رسالة الأدب ونمنع عنه مدداً عزيزاً إن حاولنا أن نصف نفوسنا وأن نفرضها فرضاً على قارئينا في غير رعاية للواقع وللحياة . إن الذكاء في آخر تحليلاته معناه إدراك العالم الخارجي والداخل معاً ، فالذكي هو الذي أدرك شيئاً ما وأدرك أنه المدرك لذلك الشيء . وللأدب ذكاؤه وحساسيته .

دكتور إبراهيم سلامه

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

- ٢ -

... لكأنما أسمعك تقول فى عتب يشوبه الألم والغضب : لماذا تنسى أنى من قبل قد عالجت : « أهل الكهف » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » وكلها موضوعات إسلامية أو شرقية . ولم تكن محاولاتى قاصرة على « أوديب » و « بيجماليون » و « براكسا » .

شيئاً من التمهل يا صديقى الكبير .

أتذكر على أى أساس عالجت هذه الأساطير الشرقية ؟

لقد عالجتها على الأساس الذهنى ... فكرة تناضل فكرة ؛ أفكار مجردة تتحرك على « مسرح الذهن » كما أحببت أنت أن تسميه !

إن عبقرية الشرق الأصيلة لم تكن يوما ما مجرد عبقرية ذهن تجريدية . لقد كان الذهن قوة من قواتها ولكنه لم يكن قوامها الأصيل : إنها أبداً كانت عبقرية حس حى أو روح رفاف . نجدها فى الهند صوفية مضحية عميقة ، وفى العرب طبعاً حياً متوفزا ، وفى مصر وداعة وبساطة وإيمانا .

إن عبقرية الذهن التجريدية عبقرية غربية . وعلى وجه خاص ، عبقرية فرنسية !

آه يا صديق ! ليتك لم تذهب إلى فرنسا !

ولكنك ما كنت تستطيع إذن أن تقوم بدورك الأساسى فى وضع القالب الفنى الصحيح للتمثيلية العربية . فدراستك هناك للمسرح الإغريقى هى التى مكنتك من وضع القالب السليم .

إن الخير لا يمكن تمحيضه . والشر لا يخلو من الخير بحال .

والآن يا صديق هل أدلك على النبع ؟

لقد قال لك أستاذك الفرنسى كما قلت فى زهرة العمر ، وأنت تعرض عليه محاولاتك باللغة الفرنسية : « أكتب بلغتك لتبدع » !

هذا هو نفسه ما أقوله لك : استوح « ميراثك » لتبدع ! إن هذا الميراث هناك كامن فى ضميرك ، تخنقه ثقافتك الفنية الفرنسية . إنك تبعد عنه كلما ذهبت إلى الإغريق وغير الإغريق تستلهم أساطيرهم القديمة . إنك مصرى . مصر القديمة الثاوية فى أعماق التاريخ ، الساربة فى ضمير الزمن ... مصر هذه ما تزال كامنة فى مصر الحديثة التى تعيش فى ثوب مستعار ... مصر القديمة بأساطيرها هى نبعك الشخصى العميق . ولن تحتاج إلى رحلة وراء آلاف السنين . ما عليك إلا أن تعيش مفتوح القلب والحس والعين فى ريف مصر وفى أحيائها العامة ... دعك من « سليمان باشا » و « الزمالك » و « المعادى » و « الملق » ... هذه رقع مستعارة فى الثوب الأصيل . هذه لطخ شوهاء فى اللوحة المتناسقة .

افتح قلبك وحسك وعينك ، ثم اقرأ شيئاً عن مصر القديمة ولاحظها ما تزال حية فى ضمير الشعب وعاداته وسلوكه ... ثم اكتب ...

خذ القالب الأوربى . القالب وحده . ولكن صور فى هذا القالب الضمير المصرى ، بروح مصرية ، وحاول أن تهتدى إلى عبقرية الشرق الأصيلة . وهى ليست مجرد عبقرية الذهن التجريدية !

وحين تتناول الأسطورة المصرية لا تحاول أن تجردها من اللحم والدم ، والانفعالات والمشاعر ، لترى ما وراء ذلك كله من فكرة ذهنية تجريدية ... خذها حية بلحمها ودمها ، وصغ منها مسرحيتك .

ولكنك لن تصنع هذا إلا إذا أحسست الأسطورة حية فى شعورك ، غامضة غائرة فى ضميرك .

إن أجمل الأعمال الفنية ما تم فى نصف وعى ونصف غيبوبة . استيقظ حين تضع القالب فحسب ، أما ذات الموضوع فيجب لكى يعيش ويخلد أن يكون غائراً فى أعماق ضميرك إلى حد أن تشعر وأنت تكتبه كأنك عشته فى زمن لا تذكره ولا تدريه !

إنك يا صديقى لن تتجاوز منطقة التاريخ الأدبى إلى منطقة القيم الفنية المطلقة ، إلا حين تهتدى إلى النبع — نبعك الموروث الأصيل — وإلى عبقرية الشرق — عبقرية القلب والضمير .

ولكنى أعرف أن هذا عمل عسير .

إن « القالب » الذهنى على الأساطير الإغريقية يسير على قواعد موجودة فعلا ، فالأوربيون عبدوا الطريق . أما استلهام الأساطير المصرية فعمل تبدؤه أنت بلا نموذج أمامك مرسوم !

ولقد يكون من المغالاة والإرهاق أن تطلب إلى فرد واحد ،

وضع القالب الجديد فى الشكل وفى الموضوع ... ولكننى لا أجد حتى اليوم سواك فى عالم التمثيلية أطلب إليه هذا الاقتراح المقول!

لقد وجد فى عالم القصة والرواية من يستلهم الطبيعة المصرية الخالصة، بروح مصرية خالصة — وهذا هو الأهم. فليس من الضرورى — فى غير الأساطير وما يشبه الأساطير — أن يكون الموضوع مصريا، ولكن اللوم أن يعالج بروح مصرية.

والاستطراد يسوقنى إلى «قنديل أم هاشم» ليحيى حقى. وإلى «خان الخليلى» لنجيب محفوظ.

لقد استلهم يحيى حقى أعماق الطبيعة المصرية وهو يصور الإيمان بكرامات الست «أم هاشم» وما يتصل بها من عقائد وأساطير. كذلك استلهم نجيب محفوظ هذه الأعماق وهو يصور «سخرية القدر» بآمال الناس وأحلامهم وحياتهم جميعاً.

لقد كانا مصريين دماً ولحماً وعاطفة وشعوراً فى هذين العملين المعجبين — وذلك هو الطريق!

وعلى ذكر «نجيب محفوظ» فإنى أستشعر فى نفسى الخوف على هذا الشاب القصاص الموهوب!

لست أذكر متى سمعته يقول ونحن نتحدث عن رواية: «زقاق المدق» إنه أراد أن يدخل قالباً معيناً فى الرواية المصرية. قالب الرواية العرضية لا الطولية، وأنه لهذا صاغ روايته فى هذا القالب الجديد.

القالب ... ! هذا هو الخطر الأكبر يا صديق نجيب! لست أفهم هذه الكلمة اللعينة! أفهم أن يتم العمل الفنى أولا، بلا قصد من صاحبه أن يضعه فى قالب معين. ثم يأتى النقاد بعد ذلك فيقيسونه، ويجمعون سماته، ثم يسلكونه فى عداد القوالب الموجودة بالفعل أو يسجلون أنه قالب جديد!

إذا وضعت القالب أولا فإنك لا بد أن تعنق عملك ليكون وفق هذا القالب. وفى كل خطوة ستستيقظ لتقيس هذا العمل، وترى إن كان قد خرج على القالب الموضوع!

لا. لا. حذار أيها الصديق للرجوّ. إن القالب لا قيمة له إلا فى عالم التاريخ!

معذرة — أيها الأستاذ الكبير توفيق الحكيم — لقد شطح بى الحديث إلى هنالك. والحديث شجون!

فلنعد إلى ما كنا فيه ...

فكرة أريد أن أصححها عن «الفلسفة الإسلامية» كما يصورها ابن رشيد وابن سينا والفارابى ... فقد ألمت بهذا فى بحثك الممتع الطويل.

إن هذه الفلسفة قد نصح تسميتها «الفلسفة الإسلامية» بمعنى أنها قد وجدت فى أرض إسلامية على يد أفراد مسلمين. ولكن يكون من الخطأ العميق اعتبارها «فلسفة الإسلام» وقد آن أن نصحح هذه الغلطة القديمة الحديثة!

إن فلسفة هؤلاء الفلاسفة إن هى إلا انعكاسات للفلسفة الإغريقية فى ظل إسلامى. وهى لا تبلغ أن تصور الفكرة الكلية للإسلام عن الكون والحياة والإنسان. هذه الفكرة الخالصة الكاملة المتناسقة.

ما أشبه الدور الذى قام به هؤلاء الفلاسفة الإسلاميون بالدور الذى تقومون أنتم به الآن — أنت وجيل التمهيد من الشيوخ — فتنة بالفلسفة الإغريقية، ومحاولة لتفسير الإسلام على ضوء هذه الفلسفة. والإسلام يحمل فكرة مستقلة مختلفة فى طبيعتها الأصلية، عن طبيعة الفكرة الإغريقية من الأساس[1]!

من أذهانهم لا من قلوبهم استمدوا فلسفتهم ... وهكذا تصلون!

لهذا وجدت تلك الفلسفة اهتماماً وعناية من الأوربيين ورثة الإغريق؛ لأنهم قادرون على فهمها والإحساس بها. أما فكرة الإسلام الصميمة الكلية عن الكون والحياة والإنسان فهى شىء آخر لم تصوره تلك الفلسفة، ولم يتمثله الأوربيون. وتبعاً لذلك لم يتمثله المحدثون من المسلمين الذين يتلقون كل ثقافتهم من الأوربيين!

ومالى أومكم أنتم، والأزهر ذاته لا يدرس فى كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام!

أنا واثق أن سيكون لنا أدب خالد؛ وأن ستكون لنا حياة فكرية وإنسانية ملحوظة. ذلك يوم نؤمن بأنفسنا، يوم نشعر أن لدينا ما نعطيه، يوم نستلهم طبيعتنا الأصيلة. يوم نهتدى فى ذواتنا إلى النبع العميق.

(وشنطون) سيد قطب

---

(١) راجع كتاب «العدالة الاجتماعية والإسلام» فصل «فكرة الإسلام عن العدالة الاجتماعية».

صور من الحياة :

قبعة . . .

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر – يا صاحبي – يوم أن لبست القبعة لأول مرة ، يوم أن كنت ترسف في قيود أربعة ؟ : أبيك وهو جاف الطبع شيطاني الجبلة أرضي النزعة ، وأمك وهي مستكينة واهية متداعية ، ورئيسك وهو يستذلك بفضله وأياديه ، وعميدك وهو يتخذك صنيعة له وداعية لأغراضه . لطالما استيقظت كرامتك فتراءيت في عين نفسك سقيم الوجدان مسلب الرأي والإرادة ، وكنت لا تجد خلاصاً إلا أن تمق والديك فلا تزورها أبداً ولا تمتثل بأمرها ، وإلا أن تستخذي لرئيسك وأن تتودد لعميدك عسى أن تكسب الرضا أو تدفع الأذى .

ورأيت الميناء يموج بالسفر من كل جنس ، وإلى جانب كل مسافر ثلة من الأهل والأصدقاء يودعون وينصحون ويشجعون . وإن كلمات الوداع الحارة لتتصاعد حواليك تصك مسمعك ، وإن عبرات الحب والإخلاص لتنهمر هنا وهنالك على خطوات منك لتكون قذى في عينيك . ولكنك أنت لم تجد صاحباً واحداً رقه عنك وينفث فيك من روحه ومن شجاعته ومن حبه ، فوقفت وحيداً تنظر .

وتحركت الباخرة فوقفت على ظهرها جامداً ترمق أرض الوطن وهي تتوارى خلف الأفق فما نبض قلبك بشوق ولا خفقت روحك بحنين ولا جاشت مشاعرك بعاطفة . ثم وليت وجهك شطر الغرب ، ورحت تتنسم أول نسمات الحرية – كرأيك – حين خيل إليك أنك ألقيت عن نفسك قيوداً أربعة كبلتك بها الوطن .

ترى هل استمتعت هناك بالحرية التي افتقدت هنا ؟

وتقبلك عميد الجامعة هناك بقبول حسن لأنك صنيعة معهد (كذا) الأجنبي ، وإن جناب العميد لرجل علم وأدب وإنه لذو حيلة ودهاء ، ولكن ماذا أفدت هناك ؟

لقد عشت هناك مثلما عشت هنا : منقبض الأسارير تأنس بالوحدة وتطمئن إلى الخلوة ، تغدو إلى الجامعة وتروح إلى الحجرة ، تصغي إلى الدرس – صدر النهار – في غير ملل ، وتنكب على الكتاب – شطراً من الليل – في غير ضجر ، وإن عميد الجامعة هنا ليحبوك بعطفه ويغمرك بفضله لأنه يمت إلى عميد المعهد هنا بأواصر هي : الصداقة في الشباب والأخوة في الدرس والوحدة في الجنس والتآلف في الرأي . وأنت هناك طالب الجامعة مثلما كنت هنا طالباً في المدرسة ترضى بالقليل وتقنع بالتافه ، وأنت هناك خامل الذكر مثلما كنت هنا وضيع الهمة ، وأنت هناك بعيد عن لذائذ الحياة ومتعها مثلما كنت هنا تعاني الحرمان والضيق . ولكن عميد الجامعة أراد فأصبحت ، بعد سنتين ، دكتوراً في الفلسفة . وتراءيت في عيني رأيك فيلسوفاً ضخماً تتصنعت الرزانة وتجملت بالهدوء ، ثم ركبك الغرور وجرفتك الكبرياء ، فما كان يليق بك أن تكون رجلاً ممن يعيش في مضطرب الحياة ونوازعها ، وأنت ابن سقراط وترب كنت وصاحب ديكارت . ولكن ، آه – يا صاحبي – لقد عجزت الفلسفة عن أن تسوي منك رجلاً آخر غير الذي كانه منذ سنتين ، إلا أن تلوى لسانك بكلمات لا تبنية فتزيدك عيًّا على عيك ، وإلا أن تشوب لهجتك لكنة أعجمية بغيضة إلى القلب والنفس تضيف حمقاً إلى حمق فيك ، وإلا أن تجهر بآراء هدامة تمسها حديثة مبتكرة تضم سفهاً إلى سفه فيك . ثم ... ثم جلست إلي في ندوة ثقافية في القاهرة تحدثني بآرائك قائلاً « أنا ابن الطبيعة وثمرة الحرية فدعني أهم في أرجاء الأرض لا يقيدني وطن ، ولا يمسكني دين ، ولا تربطني لغة . دعني أنطلق منها فهي أغلال ثقال تشل عقلي وتسمم خواطري وتعبث بأفكاري » فعجبت أن يكون هذا حديثك وأنت ابن الريف وثمرة الغيط وربيب الدين !

ماذا دهاك ، يا صاحبي ؟ أفكان لسنتين أن تحولا عقلك من حال إلى حال فتنزل عن كرامتك وتنبذ المعاني السامية للوطن والدين واللغة ، على حين قد عشت نيفاً وأربعين سنة في وطنك ، عشتها جميعاً تتنقل بين المدينة والريف ، وأنت في المدينة لا تحس إلا العمل الشاق المضني وإلا هذا الزقاق الضيق القذر الذي تسكن في ناحية منه ، وأنت في الريف لا ترى إلا أهلك وهم من أوساط

الناس وإلا دارك وإن رائحة الروث ما تبرح تتأرج في جنباتها . يا عجبا ! فما بال الشاب يذهب إلى هناك ليعيش سنوات وسنوات، وهو في ثورة الشباب وفورة الصبا ، يستمتع بالقوة والثراء ويتألق في النضارة والذكاء ... ما باله يعود إلى وطنه فلا تحس في لسانه التواء ولا في كلامه لكنة ولا في آرائه جفوة ، على حين أنه بلغ غاية العلم وتسنم ذروة الفلسفة .

قد كان لي أن أقول : لعل أضواء المدنية في الغرب قد خلبتك فغشي بصرك فما عدت ترى في الشرق إلا ذبالة توشك أن تنطفىء ، أو لعل نور الثقافة الإفرنجية قد سلبك عقلك فما أصبحت تلمس هنا — في الشرق — إلا ظلمات من الجهل تكاثف بعضها فوق بعض ، أو لعل بهرج الحضارة هناك قد طمس على قلبك فرحت تحتقر الوطن والدين واللغة ... قد كان لي أن ألتمس لك عذراً في شيء من هذا لو أنك أخذت منها بنصيب أو ضربت فيها بسهم ، ولكنك عشت هناك على حيد الحياة لا ترى إلا الكتاب والدرس والحجرة ، ولا تحس إلا العمل الرهق ، ثم ... ثم الوحدة والحرمان .

ورجعت — يا صاحبي — إلى وطنك لتلتقفك قيودك من جديد . ولكن القبعة التي لبست ترفعت عن القرية وتسامت عن الريف ، وأبوك شيخ هِمٌّ عصفت به السنون فأحطت قوته ووهى جَلده فهو يرنو إلى عطفك ويصبو إلى حنانك ، وأمك عجوز شمطاء قد عبث بها الزمن فتقوس ظهرها وسقطت أسنانها فهي تهفو إليك ، وقلبها يرف حواليك . لقد ترفعت القبعة عن القرية في حين أنها تعبدت لرئيسك القديم واستخذت لعميد المعهد الأجنبي . وهكذا تحررت من قيدين لترسف في قيدين .

وجاءك رسول أبيك يقول لك « إن أباك يكاد يلفظ آخر أنفاسه ، وإنه ليهتف باسمك بين الحين والحين ، وهو في غمرة المرض وسطاة الحمى ... » وأصغيت إلى الحديث — يا صاحبي — بأذنك ، وقلبك في شغل لا يحس معنى الإنسانية ، فما انطلقت إلى القرية إلا حين جاءك البرق يقول « مات أبوك اليوم » مات أبوك وفي قلبه شوق يتأجج لأن يرى ابنه العاق .

وجلست إليك أمك في ضعفها وشيخوختها تستجدي عطفك ورجولتك ، فأصغيت أنت إلى حديثها بأذنك ، وقلبك في شغل لا يحس معنى الإنسانية . وجرفتك كبرياء القبعة فاستوليت على ميراثك من أبيك وحولته ، ثم طرت عن القرية إلى الأبد لتذر أمك وحدها ...

وجئت أنا — بعد أيام — لأعزيك في أبيك ، فألفيتك تبسم — لأول مرة في حياتك — وأنت مسفر الوجه طلق المحيا . لقد كان يخيل إلي أنني سأراك منكسف البال شارد الذهن وقد أرمضك الحزن وهدك الأسى ، يفريك الندم على أن قصرت في حق أبيك ، وانتهبت أمنيته الأخيرة وهو على فراش الموت . فما بال أراك في نشوتك وسرورك لا يعنيك إلا أن تظفر ببعض ماله ! لقد تراءيت في ناظري رجلاً نزل من رجولته وإنسانيته وكرامته في وقت معاً ، فكرهتك واحتقرتك .

يا لقلبي ! إن في الحياة أناساً يشحون بثوب الإنسان وإن ضلوعهم لتنضم على مثل روح الشاب ! آه لو انسلخوا من إهابهم لتكشفت نفوسهم عن مثل نتن الجيفة !

وهناك ، في البلد الأجنبي ، تعلمت فلسفات ثلاثاً نبعت كلها من القبعة التي لبست بعد أن تيفنت على الأربعين : فلسفة التعوق والجحود ، وفلسفة الكفران والكنود ، وفلسفة الاستلام والخشوع ...

وتلقفك هنا رئيسك وعميدك معاً . أما رئيسك فرجل كبير في الحكومة ذو شأن ومكانة ، وأما عميدك فرجل أجنبي ذو جاه وسلطان . وتنازعك الرجلان حيناً ، ثم ظفر بك العميد . ظفر بك لتتحدث بلسانه وتتنكر برأيه وتتفانى بعقيدته ، ولتنفث سموم جنسه في شباب الجيل ، ولتعلم النشء أن القبعة شيء مقدس يستهوى العقل ويسجد له الفكر ، على حين أنها شيطان يتوثب مكراً وخداعاً .

وجلست إلى تلامذتك توحي إليهم بفلسفة القبعة . وبدا لأعينهم ما يتوارى خلف كلماتك فتلاقت نظراتهم في عجب ، وتقابلت ابتساماتهم في سخط ، ثم انصرفوا من لدنك وعلى ألسنتهم كلمات الاحتقار والسخرية . لقد سخروا منك أنت أيها الفيلسوف العظيم لأنك أردت أن تمكر بهم وتستلبهم من الوطن والدين واللغة فما انطلى عليهم أسلوبك ولا خدعتهم فلسفتك . وقال واحد منهم : إن أستاذنا الفيلسوف قد لبس القبعة ذات مرة ... لبسها لينزل من كرامته ، ولينبذ المعاني السامية للوطن والدين واللغة ...

كامل محمود حبيب

الغـــــريزة

للدكتور فضل أبو بكر

الغريزة عبارة عن ميل خاص ونزعة مجبولة في نفس الكائنات الحية منذ ظهورها إلى عالم الحس والوجود . وقد تكون نتيجة المعرفة وليدة التجارب حيناً ، كما قد تتجرد عن كل ذلك في معظم الأحيان ، وأن ذلك الميل وتلك النزعة تمليهما ضرورة الحياة والكفاح من أجلها .

ذلك الميل وتلك النزعة يتجليان في صورة نشاط تبدو بواكره في مستهل حياة الكائن ، ويكون أشبه بالنشاط الفسيولوجي كما يظنه الإنسان لأول وهلة نتيجة لعقل أو روية . وعمل الغريزة يكون أوضح في الحيوانات ولا سيما الدنيا منها مثل الحشرات مثلا .

أما موضوع الغريزة ، فهو من المسائل التي كثر حولها الجدل وتضاربت الآراء إلى حد بعيد ، إذ يرى البعض فيها عملا آلياً ميكانيكياً كعمل الساعة ، أو فسيولوجياً بحتاً غير إرادي كعملية الهضم ، وفريق آخر يعتبرها ناتجة من معرفة وفهم ، أو على الأقل فيها مسحة من الذكاء .

كذلك هم يتساءلون مختلفين عن نشأتها ووجودها في الكائن : يظن البعض أنها تنشأ كاملة من أول وهلة ومن غير حاجة إلى صقل وتهذيب . ويقول البعض إنها تولد ناقصة بدائية ثم تنمو وتتطور بنمو الكائن . ويقف فريق آخر موقفاً وسطاً بين هذا وذاك ويعتقد بأن بعض الغرائز — وهي الموروثة — تولد كاملة من غير حاجة إلى تطور ، وبعضها — وهي المكتسبة — تكون ناقصة ثم وتتكمل شيئاً فشيئاً بمرور الزمن .

يقف الإنسان حائراً إزاء هـذه الآراء المتضاربة المتنافرة ، وسبب هذا التنافر — كما اتضح أخيراً للباحثين — هو أن بعضهم يخلط بين الغرائز وبين بعض المظاهر الحيوية الفسيولوجية لما يوجد بينها من تشابه يشتد في بعض الأحيان . وأول من ألمّ إلى هذا اللبس هو العالم السيكولوجي البلجيكي « لوى فرلين » وفرق بين الغرائز والظاهرات الفسيولوجية ، وأن هذه الظاهرات وإن كانت في بعض الأحيان تحتم وجود الغرائز وتدعو لخلقها إلا أن هنالك عوامل أخرى غير العوامل الفسيولوجية كما سيتضح لنا جلياً فيما يلي :

خواص الغريزة وميزاتها :

يقول البعض إن الغريزة لها سمة « نوعية » بمعنى أن كل الحيوانات التي تنتمي إلى نوع واحد تشترك في الغرائز ، ويكون عمل الغريزة فيها بطريقة واحدة ، والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن لحشرة الزنبور نحو ألف من الأنواع ، وكل نوع له طريقته الخاصة في صيد الفريسة التي يقتات منها ، فالنوع المسمى بالـ Cerceris tuberculata يفترس حشرة من ذوات الأربعة أجنحة ، والتي تعيش على البقول الجـــافة والحبوب واسمها Charancon هذا النوع من الزنابير — وكل الأفراد التي تنتمي إلى نوعه — له طريقة خاصة فيما يتعلق بالصيد ، إذ يلسعها ويحقنها بمادة يفرزها ، ومفعول هذه المادة هو شل حركة الفريسة فقط دون موتها ، ثم ينقلها إلى مأواه ويبيض عليها ، حتى إذا ما فقست البويضات ، وجد صغار الزنابير طعاماً جاهزاً من دون سعي ولا مشقة . ونوع آخر من أنواع الزنابير هو الـ Bembex يعيش دائماً على حشرات الذباب ، وضرب آخر منها هو الـ Compile لا يأكل غير حشرات العنكبوت ، إلى غير ذلك من الأنواع الكثيرة ولكل نوع طريقة خاصة في اقتناص الفريسة ونوع الفريسة .

كذلك لكل نوع طريقة خاصة فيما يتعلق بالسكن ، فمنها ما يحفر جحره في هامات الصخور ، أو على أديم الأرض ، أو فوق الجدر والحيطان ، أو جذوع الأشجار ؛ ومنها ما لا يحفر ولا يشق ، ولكنه يعيش في مخابئ طبيعية بين لحاء عيدان الأشجار ، أو داخل ما تجوف من الأصداف والمحار .

غير أن نوعية الغريزة لا يمكن أن نقبلها إلا بشيء من التحفظ ، إذ هي ليست بنوعية مطلقة ، ولكنها نسبية لحد ما ، تعتريها بعض الشواذ ، كما أشار إلى ذلك « فرلين » بعد تجاربه التي أجراها في الأناث من طير الكناري Canari والتي تولد في أقفاص الأسر ، وجد أن بعض تلك الأناث لا تكون عندها غريزة بناء العش كاملة ، إذ تبني عشها بطريقة مشوهة ناقصة ، وقد تخفق إخفاقاً تاماً ، بينما البعض الآخر — وهو من نفس النوع — يعشش بطريقة عادية تامة . كذلك روى العالم السيكولوجي « أشيل بوردان » في كتابه « سيكولوجية الحيوانات المتوحشة » بأن لأشبال الأسود وصغار الفهود عادات وغرائز

ليست ثابتة كما هو المتوقع .

هذا ، ونجد العكس في بعض الحيوانات والحشرات بمعنى أنه رغماً من انتمائها إلى أنواع مختلفة ، تتحد في بعض الغرائز أحياناً كعادة تصنع الموت ، وهي حيلة تلجأ إليها بعض الحيوانات والحشرات بقصد الدفاع أو الهجوم . مثال ذلك حشرة من ذوات الأربعة أجنحة حمراء مبرقشة بنقط سوداء ، وهي أشبه شكلا بحشرة « الجمران » ، وهذه الحشرة اسمها Coccinelle وإذا ما أسرها الإنسان ووضعها على كفه مثلا أو فوق سطح مستو ، فإنها تستلق على ظهرها وتقبض أرجلها ولا تبدى أى حركة أو علامة للحياة ، وإذا ما تركها وشأنها استعادت حيويتها وأطلقت أرجلها ثم ولت هاربة طلباً للنجاة . وهذه طريقة دفاعية مدهشة حقاً قد يحسدها عليها الإنسان في بعض الأحيان كما أن هنالك بعض الحيوانات من ذوات الثدى أشبه بالفار الصغير واسمه Raton Laveur ، لأنه لا يأكل شيئاً إلا إذا غمسه وغسله في الماء ، ويسميه الأنجلوسكسون بالـ Racoon هذا النوع من ذوات الثدى يلجأ إلى نفس الحيلة ويشترك مع الحشرة المذكورة في هذه الغريزة ، ولكنه يستعملها طريقة للهجوم على صغار الطيور

نشأة الغريزة :

يقول عالم الحشرات الفرنسي « فابر » بأن الغريزة تولد كاملة منذ وجود الحيوان وعليه فهي ليست في حاجة إلى صقل وتهذيب مستشهداً بما أجراه من تجارب في مجموعة من حشرات الفراش والزنابير؛ غير أن الكثير من العلماء نذكر منهم « بول مارشال » لا يرى رأى « فابر » إذ يقول « مارشال » بأن بعض أناث الزنابير وإن كانت حقيقة كما شاهد « فابر » بأنها تلسع الفريسة لسعة تشلها من غير أن تميتها ثم تتركها لصغارها فما كل منها طعاماً شهياً يقيم الأود ويسد الرمق بعكس ما إذا كانت الإناث تميت فريستها وتتركها جثة هامدة ، إذ يكون الطعام في هذه الحالة أقل إثارة للشهية وأضعف قيمة غذائية ، كما أن هذه الغريزة عند إناث الزنابير والتي تبدو لأول وهلة وليدة عقل مدبر؛ إلا أنه يظن أن تلك الإناث لم تصل إلى هذا الحد من الإتقان إلا بعد مرور أزمان سحيقة خلال تطورها ونشوئها .

كذلك العالم البيولوجي الإنجليزي « بريد » يعتبر الغريزة ناقصة في أول نشأة الحيوان تتطور وتنمو بنموه . مثال ذلك ما نشاهده في صغار الدجاج إذ هي لا تجيد في حداثتها عملية (التنقير) اللازمة لقوتها ، فتراها تخطئ كثيراً حين تنقر الحبوب إذ لا تصل إلى هدفها إلا بعد محاولات ثم تزداد مهارة شيئاً فشيئاً خلال نموها .

ويوافق « بريد » « ثرلين » ؛ إذ هو أيضاً يؤمن بتطور الغريزة ؛ إذ شاهد أن إناث بعض الطيور لا تتقن بناء الأوكار في حداثتها ولا تصل إلى حد الأجادة إلا بعد أن تبلغ من عمرها حداً يؤهلها لذلك .

غاية الغريزة وأغراضها :

إن المرمى البعيد الذي تهدف إليه الغرائز إنما هو بقاء النوع على مدى الأزمان . وتتخذ لذلك عدة وسائل : منها ملاءمة البيئة ، وهي غريزة سبق أن تكلمنا عنها في مقال سابق وتعرضنا إلى آراء « دروين » و « لامارك » و « اسبنسر » فيما يتعلق بها . ونضيف إلى ذلك أنه كلما كان الحيوان أرقى كانت ملاءمته للبيئة أوضح وأكبر . وعلى ذلك فهى عند الطيور دائماً ملاءمة البيئة في بناء أوكارها من حيث طقس المكان الذي تعيش فيه وباختلاف الفصول في ذلك المكان . أما عند الحشرات فهي أقل وضوحاً . مثال ذلك ما شاهده « ثرلين » في بعض أنواع الحشرات التي تبنى بيوتها من الطين أو الصلصال ، يقول « ثرلين » إذا أدخل بعض التعديلات داخل تلك البيوت فإن بعض الحشرات لا تعيره انتباهاً وتستمرئ حياتها كما لو لم يحدث شيء ؛ ولكن البعض الآخر — وهو من نفس النوع — لا يحلو له العيش ولا يطيب له المقام في هذه البيئة الجديدة فيعيد هندسة ويقدم ما قوض من أركانه مهما طال أمد التجربة ومهما كلفه من مشقة وعناء .

قلنا إن المرمى البعيد للغريزة هو بقاء النوع فهي في خدمة النوع أكثر مما هي في خدمة الفرد ، ولو تراءى العكس في بعض الأحيان . والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما شاهده « فابر » و « ثرلين » في هذه الحالة إذ تبين لهما أن إناث الدبور عند ما تدخر لصغارها الحشرات التي تشلها وقبل أن تفقس

البويضات وتظهر الصغار إلى عالم الحس والوجود فى هذه الفترة شاهد أن الإناث قد تجوع وتشتد بها غائلة الجوع إذ يندر الصيد أحياناً ويتعذر الطعام . وقد شاهدا أيضاً أن تلك الإناث تلف وتدور حول الفريسة المشلولة وتلمسها فى حالة عصبية . ولم يشاهد قط منها أن التهمت ما تدخره لبنيها من طعام ، فتؤثر بنيها على نفسها رغماً عما بها من خصاصة وحرمان .

غير أن « أشيل يوربان » فى كتابه سيكولوجية الحيوانات المتوحشة يقول أن هذه القاعدة قد ينتابها بعض الشذوذ أحياناً ، إذ شاهد بعد تجارب أجراها فى بعض الحيوانات المتوحشة المأسورة لهذا القصد ، شاهد بعض أناث النمور والأسود والدببة تتخلى عن صغارها يوم ولادتها وتنفر منها نفوراً تاماً ، وسمى هذه الظاهرة الشاذة « بالغريزة الضالة » وقد عزاها غيره إلى حالة مرضية تنتاب تلك الأناث . وقد يكون للأسر دخل فى ذلك وشبهوها بما يحدث للمرأة النفساء أحياناً بما يسمى « جنون الولادة » وهو نوع من الذهان والهلوسة الحسية والشعور بالاضطهاد يقودها إلى التخلى عن مولودها بل وقتله إذا اشتدت وطأة الداء ولم تتخذ الاحتياطات اللازمة بإبعاده عنها .

وهنالك ظاهرة أخرى غريبة تشبه من حيث الشذوذ — الغريزة الضالة وتسمى « بغريزة الروتين » بمعنى أنها لا ترمى — كغيرها من الغرائز — إلى هدف يستفيد منه الحيوان وهو ما نشاهده عند الكثير من الكلاب وهى عادة دفن الأطعمة كاللحوم أو العظام أو غيرها بعد أن تحفر له حفرة بمخالبها الأمامية ثم تواريه التراب . وقد تلجأ أو لا تلجأ إليه بعد ذلك مع أن بعض الكلاب التى تفعل مثل هذا قد تكون كلابا مدللة من أصحابها ولم تعرض إلى الجوع يوماً ما ! !

ولكن « رومنس » يقول إن الكلاب إنما تخبىء ما زاد على حاجتها وتدخره مهما توفرت الأطعمة ، وفى هذا شىء من بعد النظر بلا شك ، وهو ما يطابق المثل العربى الذى يقول : « أن ترد الماء بماء أكيس » .

قد يكون رأى « رومنس » مقبولا لحد ما ، ولكن هنالك فريقاً من الكلاب يدفن أشياء غير قابلة للأكل مثل الحجارة ، أو قطع الأخشاب ، أو الملابس ، وهو يدفنها بنفس الاهتمام كما لو كانت ذات فائدة غذائية . وفى هذا المثل الأخير تتضح غريزة الروتين بصورة أوضح . ثم إن الكلاب فى دفنها الأشياء من غذائية أو غير غذائية تختلف ، فتارة تلجأ إلى مكان بعيد وتختفى من الأنظار ، وتارة تدفن ما تريد دفنه بمرأى ومسمع عن الناس بغض النظر عما إذا كان المدفون مما يؤكل أو مما لا يؤكل ! !

أسباب الغريزة ودوافعها :

إن للغريزة أسباباً داخلية وأخرى خارجية مؤثرة على الحيوان . ويقول « رابو » إن عمل الغريزة يتوقف على استمالات خارجية ومؤثرات حسية ، فأناث بعض الحيوانات حين تتهيأ للحبل وتكون فى حالة فسيولوجية قابلة له تبعث منها روائح خاصة من شأنها جلب الذكور وإغرائها جنسياً ، وحاسة الشم عند تلك الحيوانات تلعب دوراً أهم من غيره فيما يتعلق بالناحية الجنسية ، والدليل على ذلك ما قام به « فابر » من تجارب . وضع « فابر » أنثى من أنواع الفراش موما يسمى بال Gasteropacha guercus وضعها داخل إناء مقفل الجوانب عدا نافذتين صغيرتين تسمحان للهواء بالمرور ووضع الإناء وما يحوى فى مكان منعزل ، فوجد بعد مضى ثلاثة أيام نحو ستين من ذكور الفراش تلتف حول الإناء لما ينبعث منه من روائح جلبت ذلك الجيش من الذكور ، ثم وضع بعد ذلك نفس الأنثى فى إناء من زجاج يشف عما بداخل الإناء ، ولكنه محكم القفل لا يسمح بمرور الهواء ، ثم تركها فى مكان منعزل مدة ثلاثة أيام ، فلم ير غير اثنين من الذكور ، وقد أجرى العمليتين عدة مرات ، وكانت النتائج دائماً واحدة . أما لدى بعض الحشرات مثل العنكبوت ، فإن حاسة السمع تلعب دوراً أهم من غيره من بقية الحواس ، إذ تعتمد عليها فى اصطياد الفريسة .

من هذا يحق لنا أن نقارن عمل الغريزة بظاهرة ال Tropisme وهى عبارة عن قوة طبيعية تؤثر على الكائن وتجذبه إليها فتكون إيجابية ، أو تصده عنها وتقصيه فتكون فى هذه الحالة سلبية مثل ذلك « الجذب الأرضى » ، إذ يكون إيجابياً فى النبات بالنسبة للأصول والعروق ، إذ هى تتجه نحو الأرض وتندفن فى جوفها ، وسلبياً بالنسبة للسيقان والجذوع والأوراق ، إذ تتجه اتجاهاً مضاداً وتنفر من جوف الأرض ، وكذلك ظاهرة « الجذب

المتوقى » تكون فى النبات عكس ما يحدث بالنسبة إلى ظاهرة الجذب الأرضى .

كذلك نشاهد مفعول تلك الظاهرة ، أى الـ topisme فى بعض أنواع الحشرات من ذوات الأجنحة النصفية تعيش على عصير النباتات واسمها Puceron ailé ، فإذا وضعتها فى مكان فهى تتجه دائماً نحو النور . وكذلك نوع من أنواع الذباب اسمه Drosophile تجذبها الروائح الأثيرية والحمضية المنبعثة من الفواكه المختمرة ، وهذا ما يسمونه بالجذب الكيماوى .

وقد حاول العالم الإنجليزى « لوب » تعليل مثل هذه الظاهرات ، ولكنه علّلها تعليلاً ميكانيكياً خالياً من الإرادة ، بل ومن مظاهر الحياة ، وزعم بأن كل أنواع الـ Tropisme ما هى إلا إحدى مظاهر الجاذبية العامة خاضعة لها ، وهى كذلك أشبه بالجذب المغناطيسى .

لقيت آراء « لوب » شيئاً من الرواج حيناً ولكنها هوجمت وتبين خطأها . خذ مثلا حشرة العثة فهى تنجذب نحو النور ولكن حين يحين موعد البيض تبحث عن مكان مظلم لا يتطرق إليه بصيص من نور . والأمثال كثيرة فى هذا الصدد مما دعا الباحثين إلى أن يعتقدوا بأن عمل الـ Topisme ليس عملاً ميكانيكيا كما يظن «لوب» وأن الغريزة ليست إلا نوعاً منه كما كان يعتقد .

كذلك توجد عند الحيوانات غريزة التوجيه تعتمد فيها على الذاكرة وعلى حاسة البصر أكثر من سواها من الحواس ؛ فإذا فصلت النحل من خلاياه وباعدت بينه وبينها نحوا أكثر من أربعة كيلو مترات ثم أطلقت سراحه بعد ذلك فإنه يرجع بسهولة إلى خلاياه من غير ما يضل طريقه إليها ، كما تتفاوت درجة غريزة التوجيه لدى الحيوانات .

الغريزة والعقل :

رأينا مما تقدم أن الحيوانات حتى الدنيا منها مثل الحشرات كالنحل والزنبور والطيور تقوم بأعمال يظنها الإنسان لأول وهلة ناتجة عن عقل مفكر مدبر مما دعا إلى الخلط بين العقل والغريزة فى كثير من الأحيان . فبرجسون يقول إن العقل والغريزة ينشآن جنباً لجنب ويتشابهان فى كثير من الأحيان ويكمل بعضها عمل البعض الآخر ولكنهما يختلفان فى كثير من الأوجه ، ويعتقد

بأن الغريزة أميل إلى الآلية وإن كانت لا تخلو من مهارة وشىء من الإلهام .

فالغريزة تتوغل داخل الأشياء ، بينما العقل يطرقها من الخارج ويعلم ما يربطها ببعضها البعض ، فهو يتكرر ويحلل ولكنه مع ذلك يفتقر إلى موهبة فلسفية وفنية لفهم الحياة على وجهها الصحيح .

كذلك كان يظن « أسبنسر » « ودارنك » بأن الغريزة عبارة عن صفة فسيولوجية يرثها الفرد من النوع الذى ينتمى إليه ؛ ولكن المتفق عليه الآن هو أن الغرائز عبارة عن ميول سيكولوجية وفسيولوجية بعضها موروث وآخر مكتسب ، تولد ضعيفة مترددة ثم تهذب وتصقل بنمو الحيوان .

ولنذكر الآن بعض الغرائز عند الإنسان :

غريزة التملك :

وهى تظهر جلياً عند الطفل إذ يحاول أن يمتلك كل ما تمتد إليه يده أو يقع تحت بصره . وسبب ذلك تنازع البقاء وطلب الخلود ؛ وهذه الغريزة تشمل عدة غرائز أخرى مثل غريزة الصيد ؛ فإذا أتيحت للطفل الفرصة أن يقتحم عشاً للطيور أو قفصاً للدجاج فإنه يأسر صغارها ويستولى على بيضها ، كما يحلو له أن يصيد الحشرات مثل الجراد والفراش وتبدو عليه سيماء الغبطة ؛ وقد يكون ذلك بدافع من غريزة التملك أو يكون ذلك نتيجة لبقايا وآثار وراثية كامنة فى نفسه وقتما كان الصيد ضرورة حيوية للإنسان الأول يقتات منها .

غريزة الحروب :

كثيراً ما نشاهد الأطفال من مختلف الأجناس والبيئات مولعين بتنظيم صفوفهم فى هيئة جنود محاربة ، ويشنون الحرب بعضهم على بعض متسلحين بالطوب والحجارة أو العصى الرفيعة فى حرب هجومية قد يكون الدافع لها غريزة التملك إذا كان هنالك من الأشياء ما يتنازعون من أجله ويود كل فريق أن يكون له دون غيره ، أو بدافع حب السيطرة ، أو تكون حرباً دفاعية بحوافز من غريزة حب البقاء .

غير أن بعض السيكولوجيين يرى فى حروب الأطفال هذه عاملا جنسياً ؛ إذ أن الطفل يتهيأ بهذه الحروب الصغيرة إلى حرب

منارة الماضي :

الإسكندرية في عصورها الإسلامية

للأستاذ أحمد رمزي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

فهذه الإسكندرية التي يحاول البعض أن تطغى على عروبتها كليوبطرة والبطالمة والأغارقة ! هي كما نرى في تاريخنا الحي الذي ننحدر من أصلابه : كانت موئل المجاهدين والقاتلين والثاغرين الذين لم ترهبهم قوة الحدثان ، ولا أخافهم بأس العدو ولا هد من عزائمهم توالي الخطوب .

وأولئك عاشوا وفي قلوبهم — كما قلت — نخوة وحماسة ودفعة ، وفي أخلاقهم بأس المجاهدين والمرابطين ، وفي عروقهم دماء أولئك الأبطال ، الذين كانوا يقومون كل عام بالصائفة في بلاد الروم ، ويحشدون الحشود إلى آسيا الصغرى وأنطاكية وثغورها . فأين هم والأغارقة ؟! . ولماذا لا تسمى الأشياء بأسمائها ؟! .

ومن الغريب أن أسلافنا لم يبخسوا القدماء حقهم !! . فقد ذكر المقريزي في خططه : « أن هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعاً » . ونقل عن وصيف شاه : « أن العمارة كانت ممتدة من رمال رشيد إلى الإسكندرية ومنها إلى برقة . » فكيف يأتي في عصرنا من يبخس حق أسلافنا ؟ ومع هذا فالعمران الذي كان سائداً في القدم تولاه بعنايتهم المسلمون في أيامهم ، فقد ذكر جغرافيو العرب[1] أن هذا العمران بقي وزاد بدليل ما جاء من وصف البلاد بين سخا والإسكندرية ، وما ذكروه من الحمامات والمساجد والأسواق على الطريق ووصفهم لزراعات الكتان ومعاصر زيت الفجل ، وما كانت عليه المدينة من رواج الصناعة

(١) ابن خرداذبة — راجع خطط المقريزي صفحة ٢٦٢ الجزء الأول

أكبر وهي حرب الغرامية بكرها وفرها ، بعنفها ولينها ، مع المرأة ، أو حرب دامية من أجل المرأة إذا ما حاول غيره أن يتملكها أو يغتصبها منه . غير أن هذا التأويل قد يكون بعيداً لا يخلو من المبالغة حتى أن « فرويد » نفسه الذي يعزو كثيراً من مظاهر سيكولوجية الإنسان إلى دوافع جنسية لا يرى في غريزة الحروب عاملا جنسياً . ويقول فرويد : إن غريزة الحروب عند الأطفال ناشئة عن غريزة الاعتداء والميل إلى الخراب والتدمير .

الغريزة التناسلية :

كان الرأي السائد قديماً أنها تبدو عند سن المراهقة ، ولكن المسلم به الآن أنها تظهر عند الطفل وهو في مهده رضيعاً كما يقول « فرويد » كما تدخل في طور جديد عند ما يبلغ الطفل الخامسة من عمره ، ومن الخامسة إلى أن يبلغ سن المراهقة يسمونه « بالطور الكامن » تكون فيه الغريزة مكبوتة بدافع من الحياء وحب قواعد الأخلاق والعرف ، ثم بعد سن المراهقة بعامين أو ثلاثة يكون ميل الشاب أو الشابة أقرب إلى الحب الأفلاطوني والهوى العذري البريء منه إلى الحب المادي . والسبب في ذلك أن الشاب في مثل هذه السن يكون ميالا إلى المثالية « والرومانتزم » وتحلو له الأحلام وقد يهرب من لقاء المرأة مكتفياً بالطيف محتقراً — إلى حد ما — اللذات الجسدية . وقد عزا السيكولوجي « مندوس » هذه الظاهرة إلى حصانة من جانب الطبيعة ترمي إلى التريث حتى تنضج الأحياء الملقحة فتكون وتغتذ أقدر على أداء وظيفتها . وقد شرح « مندوس » هذه الظاهرة وغيرها في كتابه الممتع « عقلية المراهق » .

والغريزة التناسلية كما يعلم الجميع ترمي إلى بقاء النوع . وكلما كان الكائن الحي من حيوان أو نبات ضعيفاً كان لزاماً عليه أن يكثر من النسل ؛ لأن أغلب ذراريه — أضعفها — عرضة للفناء على حد قول الشاعر العربي :

بغاث الطير أكثرها فراخا   وأم الصقر مقلاة نذور

دكتور

فضل أبو بكر

مدرس بمدرسة فاروق الأول السودانية بغرنا

والتجارة ، واحتكارها للتوابل وطرق النقل بين الشرق والغرب . . فأين هذا مما يدعون من الخراب والفوضى وحشر هذا دائماً مع العروبة والإسلام ؟ ! .

فإذا تركنا العصور الأولى ودخلنا العصور الوسطى كما يقولون: أراني على حق إذا أشرت إلى ما جاء به الدكتور جمال الدين الشيال في العصر المملوكي : من ذكره ما أدخل على نيابة الاسكندرية من محاسن ووصفه كيف كان يخرج نائبها بالموكب الرسمي من دار الإمارة . وقد عدت إلى صبح الأعشى[1] وقرأت ما كتب عنها وما ذكر من أنها نيابة جليلة ونائبها من الأمراء المقدَّمين وهي تضاهي في الرتبة نيابة طرابلس الشام ، وجاء فيه : « فإذا سار (النائب) إلى دار النيابة ... وضع الكرسي في صدر الديوان منشيٌّ بالأطلس الأصفر ووضع عليه سيف بَعجاة سلطانية ومُدَّ السماط تحته » .

لقد أنصف قسم التاريخ — في شخص الدكتور الشيال — الاسكندرية لأول مرة ، وأنصف فيها تاريخ مصر الإسلامي . وكم يكون عمله مستكملا لو كشف لنا أسماء النواب ابتداء من سنة ٧٦٧ هجرية أي في الدولة الأشرفية شعبان إلى زوال الدولة المصرية بانتهاء حكم النوري .

إنه ليسهل الحصول عليها في نظري ، فقد اطلعت في عصر الملك الظاهر برقوق من حوادث يوم الاثنين رابع ذي الحجة سنة ٧٨٩ هجرية (ديسمبر ١٣٨٧ — يناير ١٣٨٨ ميلادية) : «خلع الملك الظاهر برقوق على الأمير زين الدين أمير حاج بن الأمير علاء الدين مُغُلطاي وولاه نيابة السلطنة بثغر الاسكندرية عوضاً عن الأمير بجمان المحمدي بحكم عزله . وفي يوم الجمعة ١٢ ذي الحجة توجه طُلب الأمير زين الدين أمير حاج إلى ثغر الاسكندرية نائباً بها »[2] .

وممن ولي نيابة الإسكندرية بزلار بن عبد الله العمري المتوفى سنة ٧٩١ هجرية ترجم له القاضي زين الدين طاهر بن حبيب فقال عنه : « كان أميراً لطيف القامة وافر الهمّة والشجاعة في كل ملحمة شديد القوة في اللعب بالسمهري والحسام تصيب سهامه كل غرض يصوبها عليه » .

فهؤلاء رجال تولوا الحكم في العهد الإسلامي ، وأعتقد أن أسماءهم جديرة بأن توضع على الطرق والشوارع ، بل هي أولى من الأسماء الأعجمية التي يواجهها كل من زار الثغر الإسكندري ؟ فينظر إليها ويتأسف .

إنني واثق من أن جامعة فاروق ستكشف صفحات خالدة في تاريخنا القومي للمدينة ، وتثير رأي الناس فينا .

أكتب هذا وأنتظر الشيء الكثير من معهد الاسكندرية الديني وأؤمل أن يبعث رجاله وعلماؤه الحياة في التراث الديني للثغر الإسكندري لكي نتعرف إلى أئمته وعلمائه وأوليائه : فنقرأ تراجمهم من جديد ونسعى لزيارة قبورهم ونبهر بآثارهم وما خلفوه من تراثهم .

وإليك قطرة من بحر زاخر بالأحبة من السلف الصالح ، قطرة من أوائل القرون الأولى :

في ١٧٧ هجرية توفي بالإسكندرية عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني صاحب أبي هريرة .

١٣٥ — « توفي أبو عقيل زهرة بن معبد التيمي بالإسكندرية عن سن عالية . قال الداري زعموا أنه كان من الأبدال روى عن أبي عمر وابن الزبير .

١٦٧ — « توفي أبو شريح عبد الرحمن بن شريح المعافري بالإسكندرية روى عن أبي قبيل وطبقته وكان ذا عبادة وفضل ؛ قال السيوطي في حسن المحاضرة ذكره ابن حبان في الثقات .

١٨١ — « ومات بالإسكندرية يعقوب بن عبد الرحمن القاريّ المدني روى عن زيد بن أسلم وطبقته .

٢٨١ — « توفي العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المواز الإسكندراني المالكي صاحب التصانيف أخذ من أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم وانتهت إليه رياسة المذهب وإليه كان المنتهى في تفريع المسائل .

أين علماء الإسلام وحملة أنوار الشريعة المحمدية وأين قضاة الإسكندرية في هذا الزمن ، بل أين أصحاب المذهب المالكي ؟ مالهم يغفرن هذه الأنوار عنا وراء ظلال المهجمين على تاريخنا الخالد ؟

أقولها كلمة حق : يا قوم إن تسعة أعشار الإيمان قوة وصلابة وشجاعة : ولكم أسوة في شيخ الإسلام ابن تيمية الذي نزل سجينا في برج من أبراج مدينتكم وكان له شباكان أحدهما يطل على البحر والآخر على المدينة وتردد عليه أسلافكم من الأكابر

(١) ص ٦٣ الجزء ٤ (٢) ابن الفرات

٣٢ ٤١

والأعيان والفقهاء يقرؤون عليه ويستفيدون منه ، فهل هد الاعتقال من عزيمته ؟ وهل أنقصت الأيام وشدتها من حماسته وشجاعته ؟ كان قوة من قوى الإسلام الدائمة ، فليكن منكم فريق على سنته وإقدامه ...

أقول هذا وأمامي أسماء من تولوا القضاء بهذا الثغر في عصور الإسلام الزاهية ، أود لو يتسع المدى أمامي فأحدثكم عن كل واحد منهم ، أحقق عصره وأخرج من كتب التراجم حياته وآثاره ؛ ولا أخص أشهرهم ولا أعلمهم ، وإنما بين يدي قضاة الملك الظاهر برقوق وبينهم القاضي جمال الدين الشهير بالجيدي الفقيه الحنفي تولى بعد القاضي عماد الدين ، ولو شئت المزيد فارجع إلى ما تركه من آثار تجد أن ناحية القضاء الإسلامي ميدان لا يزال بكراً يطلب البحث والدرس والتقييد والإفاضة .

فإلى قضاة الثغر الوطنيين والشرعيين أوجه كلامي فى عنق كل منهم أمانة . وما القضاء الوطني إلا تكملة للقضاء الإسلامي وشعاع انبثق من أنوار ساطعة في فترة أربعة عشر قرناً من الزمن .

أما تاريخ الإسكندرية الحربي فهو صفحة من صفحات الخلود لم تكتب بعد . ولن أحدثكم عن عمل الإسكندريين في حروبهم وقتالهم ، وإنما أكتفي بأن أشير إلى بطولة امتازوا بها خلال القرون الماضية وهي حماية الحصون والقلاع ، وخدمة الأساطيل الإسلامية .

جاء في حوادث سنة ٢٦١ هجرية أن إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن الأغلب ولي إفريقية وحسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي آمنة ، وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة إلى الإسكندرية فيصل الخبر منها الإسكندرية في ليلة أو أكثر وبينهما مسيرة أشهر

وجاء في حوادث سنة ٦٧١ : اهتمام الملك الظاهر بيبرس بأمر الشواني وكيف أمر بإعداد مائة منجنيق ونصبها على أسوار الإسكندرية .

وجاء ذكر أبطال من الرجال حذقوا رماية القوس من أهل الثغر واختصوا بحماية الأبراج ؛ فهؤلاء أتى بهم يوماً الظاهر برقوق واستعرضهم بالقاهرة تحت اسم رماة القوس بالرجل .

ولست أعرف مدينة من مدن البلاد العربية ضاعت آثارها الإسلامية وأزيلت أغلب معالمها مثل مدينة الإسكندرية .

وقد حاولت أن أجد لذلك مبرراً فلم أقدر : سوى تلك الرغبة التي نراها في عبادة المدنيات التي انقرضت ، واتهام المسلمين بأنهم قوم يسرع الخراب على أيديهم . فأسوار المدينة في العهد الإسلامي وأبراجها قد أزيلت ؛ وكانت بقايا باب رشيد لا تزال قائمة فإذا بمكانها يستعمل حديقة عامة ؛ وتحت شعار أن القبور لا تحوي أصحابها أزيلت معالم المدينة الإسلامية وقبور العلماء والأولياء والصالحين ، وكل ما يذكرنا بماضينا : حتى أسماء الأحياء والشوارع قد تغيرت باسم التجديد . فكأنما قد ولدنا اليوم ، وكأننا قد بعثنا وليس لنا ماض يذكر وتاريخ يعرف . ولولا عناية كريمة شملت قلعة السلطان قايتباي تستحق أن تحمد وتشكر ، لبقيت جدرانها مهدمة وزالت مع الزمن .

إن النهضة الصحيحة هي التي تستند على تاريخنا العربي وتذكرنا بأيامنا ومواقفنا ، وأعيد ما سبق لي أن كتبته يوماً ونشرته :

« إننا معاشر الأمم الإسلامية أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الكوكب الأرضي ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة ، وهو في قوته وبروزه وأثره لا يمكن أن يقارن به تاريخ أية أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها في الحضارة »

أحمد رمزي

كيف تقــــرأ كتابا ؟

للأستـــــاذ إيليا حليم حنا

كيف أقرأ كتابا ؟ !

نم كيف تقرأ كتابا تنغمس فيه فيستغرقك ويستولى عليك فتعيش فى عالم كاتبه وتحيط نفسك بجوه ، تشعر بإحساساته وشعوره وخوالجه التى هى عصارة عقله وقلبه ، وتحلق بروحك وفكرك فى عالم علوى ساحر متجرداً عن الزمن والمكان وكل ما يدور فى محيطك المادى سائراً فى دروب التفكير العميق منسجماً مع الكاتب تحادثه وتناقشه بصوت عقلك . فى هذا العالم الفكرى المهيمن الأخاذ تستشف ما وراء الكلمات والسطور وترى غير ما يراه الناس وتحكم غير حكمهم وتحس إحساساً خاصاً بك وتصل إلى نتائج قد تكون مكملة لما قصد إليه الكاتب ، وهذه ناحية من نواحى الإبداع والتوليد لا تظهرها إلا الحية الذهنية والتركيز الفكرى والاندماج فى جو الكاتب .

هذه هى القراءة التى أعنيها والتى توسع الفكر وتصقل الملكات وتنمى النفس وتظهر ما تنطوى عليه من قوى الخلق والابتكار الكامنة وتخلق من الفرد العادى شخصاً ممتازاً متنوقاً يمثل أرقى طبقات الذهن البشرى .

والنقاط الآتية هى دستور القارىء الذى يرى فى القراءة نموه الفكرى وزاده النفسى ، ويسعى إليها يقضى فيها أهنأ أوقاته وأحبها إلى قلبه كلما أراد الاستزادة والاستلهام .

١ — لا تستفيد مما تقرأ إن لم يكن لك غرض من قراءتك ؛ فلا تدع الكتاب يكون لك عابرة بل اخزن من ثروته وأضف جديداً إلى معلوماتك وحياتك .

٢ — يجب أن تقرن القراءة بالتفكير التمثيل Assimilative Thinking الذى يرى فيه القارىء إلى فهم ما يقرأ وحذقه وهضمه ولا يتأتى هذا إلا بالتجرد من العالم الخارجى وحصر كل انتباهه وتفكيره وانطوائه على نفسه وهو يقرأ صامتاً .

٣ — اقرأ بسرعة متفاوتة ، فالسير من الأفكار والآراء يحتاج إلى تأن حتى تنفذ إليه . والسهل اقرأه بأقصى سرعتك فى القراءة

٤ — إلى جانب الكتاب الذى تقرأه جهز كراسة تقيد فيها سوانحك الطارئة كما هى بغير تهذيب أو صقل حتى تفرغ من قراءة الكتاب ، فتعود إليها تصوغها صوغاً مناسباً . ولكن لا تدع هذه الخاطرة تفلت وتطير .

إذا أتتك فكرة تجلو غوامض موضوع سبق قراءته فبادر بكتابتها حتى لا تضيع فى ضباب الذاكرة المطبق لئلا تفر وينقطع أثرها .

٦ — إذا عرضت لك فكرة وسلكت بك طريقا جديدة من التفكير فدع عقلك يسبح طليقاً مسجلاً تفكيرك حتى تفرغ منه ثم تعود إلى الكتاب .

٧ — اكتب ملاحظاتك واستنتاجاتك التى تعن لك على هامش الكتاب — إذا كان ملكك — وضع الخطوط تحت الأفكار والقطع التى ترغب فى تذكرها بصفة خاصة .

٨ — لاحظ كيف تسير النقاط الفرعية ومقدار انسجامها مع الغرض الرئيسى ثم سجل الفكرة الرئيسية فى كل جزء مما تقرأ وضع علامة استفهام أمام النقاط التى صعب عليك فهمها أو التى تريد أن تتوسع فيها واكتب ملخص الفكرة التى استخلصتها من الجزء الذى تقرأه وسجل كل ما يخطر ببالك من الأسئلة والأفكار .

سجل الآراء الجديدة التى هى نتاج تفكيرك وضع تحتها الحرف الأول من اسمك أو علامة تدل على أنها لك .

٩ لا تنتقل من فكرة إلى فكرة دون غاية ودون رابطة معقولة بين الأفكار حتى تشعر بلذة التفكير وتنساق مع الكتاب فى عالم فكرى جميل وقد حصرت كل انتباهك وتأملك دون أن تشعر .

١٠ — لا تأخذ كل ما تقرأ قضية مسلمة بل زن أم الآراء وانقدها نقداً بريئاً ثم احكم على كل منها حكماً مجرداً من الأهواء على ضوء معلوماتك السابقة واربط الماضى بالحديث فيتحول إلى فكرة جديدة مستقلة بعد أن تعمل فيها تفاعلاتك الذهنية وتجاربك . قف عند هذه الفكرة متسائلا (ماذا عسانا أن نستخلص منها لأنفسنا وللانسانية من فائدة عملية ؟) .

١١ — بعد الفراغ من قراءة الكتاب حاول فى اليوم التالى أن تكتب بإيجاز رأيك عنه وما يعن لك من آراء حرة فى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

ومضات فكر من وحي الربيع :

قلت لنفسي وجحيم القيظ يلفح الوجوه في يوم من أيام الأسبوع الماضي : أنحن حقاً في الربيع ؟ ... أين هو الربيع الذي يفيض على الحياة من رقة أنسامه ، ويضفي على الأحياء من روعة أحلامه ، ويوحي إلى الأقلام من سحر معانيه ؟ !

الربيع في لغة الفن بسمة ترف على الشفة ، وومضة تشع في العين ، وفرحة تختلج في الشعور ، وهمسة تحلق في أجواء الروح ...

والربيع في لغة الطبيعة زهرة تفوح بالأرج ، وطير يصدح على غصن ، وموجة تهدهد موجة ، ونسمة تداعب نسمة ، ونغم ينساب من خرير جدول ... فأين لغة الفن والطبيعة من لغة الواقع الذي نعيش فيه ؟ !

الربيع عندنا حلم من أحلام اليقظة يستغرق فيه الخاطر ولا تراه العيون ، وصفحة من كتاب الطبيعة نطالعها في وجوم وحيرة ، ونطويها في سكون وصمت -- ثم لا تثير بعد ذلك في حنايا الضلوع عاطفة !

وقلت لنفسي : إن أدبنا لو خلا من الروح فهو مظلوم ... أين الطبيعة الوادعة التي يستطيع في رحابها أن يتنفس ، وأين الآفاق الحانية التي يتهيأ له في ظلها أن يعبر ، وأين الأجواء الطليقة التي تمده بينابيع الجمال ليتدفق ويفيض ؟ !

لا شيء في أيدينا من هذه النعم التي اصطفى بها الله أرضاً دون أرض ، وخص بها سماء دون سماء ... وبشراً يموجون في موكب الحياة دون بشر ! !

من صفاء الطبيعة يستمد الأدب إشراقة اللفظ ، ومن إشعاع الطبيعة يقبس الأدب حرارة العبارة ، ومن ألوان الطبيعة يرسم الأدب جوانب الصورة ، ومن توثب الطبيعة يحلق الأدب على أجنحة الفكر والخيال ... ولكننا محرومون من الربيع في ريعانه ، ومحرومون من عيد الطبيعة في إبانه ! ومن هنا عاشت نفوسنا في حرمان من البهجة التي تفيض ولا تقطر ، وعاش أدبنا في حرمان من الموهبة التي تبدع ولا تقلد ، وانتهى بنا المطاف إلى لون من الفن الكئيب الذي ينقل من الطبيعة الواجمة كل معنى حزين ، وكل فكرة حيرى ، وكل مشهد قاتم ... هناك حيث تلق الحياة في غارها الأسود الذي يحيل البسمات إلى أنات !

أدبنا المصري صورة من بيئتنا المادية ... فيه ما فيها من طابع الكآبة والخمول ، وفيه ما فيها من صبغة التكرار والجمود ، وفيه ما فيها من سمة المظهر البراق الذي يلوذ بالسطوح ولا يدرك الأعماق !

إنك تظلم الأديب في مصر حين تدفع إليه بالقلم وهو محروم من مصادر الوحي ، وتظلم الفنان في مصر حين تفرض عليه الإبداع وهو بعيد عن عناصر الخلق ، وتظلم هذه البقعة من الأرض حين تطالبها بإخراج العباقرة وهي خواء من منابع الإلهام ! !

أدبنا في الخريف ، ونفوسنا في الخريف ... وذنبنا أننا نتلقف أنسام الربيع من صفحات الكتب ومن أفواه الناس !

الموضوع وسيدهشك أنك تكتب عنه أكثر مما قرأت فيه ؛ وتنساب الأفكار على القرطاس سلسة طيعة لا التواء ولا صعوبة في تسلسلها كأنك تنقل من صفحة أمامك بل أسهل ! ذلك لأن العقل الباطن يشتغل بالموضوع في الوقت الذي يبدو لنا فيه أن عقلنا الظاهر في دعة وخمول .

١٢ — إذا كان موضوع الكتاب قد أثار اهتمامك فاجعل هذا حافزاً للاستزادة من نفس الموضوع في كتب أخرى .

١٣ — إذا كنت لا تعرف شيئاً من الكتاب الذي تريد قراءته فاقرأه بسرعة لتكون لك فكرة إجمالية عنه ثم بعد ذلك انتقل إلى دراسة التفاصيل فيه إن أعجبك موضوعه .

١٤ — ليكن رائدك « اقرأ وفكر واعمل » فإن أجمل صيغ الحياة وأجلها وأنفعها هي التي يمتزج فيها نبل المثل الأعلى وجدوى العمل المحكم ، والعمل بغير ثقافة حركة بصيرة ، والثقافة بدون عمل بصيرة مشلولة .

الأبيض – سودان إيليا حليم حنا

دبلوم عال في التربية — دبلوم صحافة

ردود قصيرة على رسائل القراء :

حقيبة البريد فى هذا الأسبوع عامرة بالرسائل ... بعضها شعر بعث به إلى أصحابه ليأخذ طريقه إلى صفحات « الرسالة » ، وبعضها الآخر أسئلة من القراء وتعقيبات .

أما الرسالة الأولى فمن الأديب الشاعر يوسف جبرا وبها قصيدة أسماها « صرخة » ؛ إنه يسألنى عن رأيى فى قصيدته قائلا : « وإن كان فيها خروج على أدب يحول دون نشرها فلماذا لا نحرق « الديكامرون » و « ألف ليلة » و « اعترافات جان جاك » ؟ ..

أود أن أجيب الشاعر الفاضل بأننى من الذين يدينون بالقول المأثور : « L'art pour L'art » الفن للفن . وقد كتبت فى هذا الموضوع مقالا فى « الرسالة » تحت عنوان « دفاع عن الأدب » تعرضت فيه لرأى الفيلسوف الإيطالى تيدتوكر وتشه فى أدب الاعترافات عامة وأدب جان جاك على الأخص . هذا من جهتى ؛ أما من جهة الأستاذ صاحب « الرسالة » فسأعرض القصيدة عليه ليرى فيها رأيه ... فى نطاق فكرتها الفنية لا فى نطاق روحها الشعرية ، لأنها ترضينى فى حدود هذا النطاق الأخير .

أما الرسالة الثانية فبها قصيدة أخرى للأديب الشاعر كيلانى حسن سند تحت عنوان « فى طريق الحياة » ... فى شعر الأديب الفاضل نفحات طيبة تنبىء عن موهبة ، وسأعرض قصيدته على الأستاذ الزيات مع قصيدتين أخريين إحداهما تحت عنوان « ذكرى وربيع » للشاعر الإسكندرى أحمد محمود عرفة ، والأخرى تحت عنوان « إلى السودان يا أماه » للشاعر الدمنهورى عبد المطلب منجى .

وهذه رسالة خامسة من « كوستى — سودان » أشكر لمرسلها الفاضل (ع . م) ولعله الأديب الشاعر عبد الله موسى كريم تقديره ، وأجيبه بأننى فى انتظار رسالته الثانية لأرد عليه فى رسالة خاصة . ورسالة سادسة من « أم روابة — سودان » يعرض على فيها الأديب الفاضل محمد الحسن شاع الدين بالنيابة عن زملائه أعضاء نادى « أم روابة » الأدبى ، أن يوجه إلى الأعضاء بعض الأسئلة الأدبية فى كل أسبوع لأجيب عنها على صفحات « الرسالة » نظراً لخلو بلدهم من أديب « حجة » يرجعون إليه ... ٢

إننى مع شكرى الخالص لهذه التحية الكريمة يؤسفنى جد الأسف ألا أستطيع تلبية هذه الرغبة الغالية نظراً لضيق وقتى من جهة ، ولكثرة الموضوعات الحلية التى تحتاج إلى تعقيب من جهة أخرى ...

وفى الرسالة السابعة يسألنى الأديب الفاضل محمود أحمد سعيد بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية عن بعض كتاب « الرسالة » القدماء ، ولماذا آثروا هجر رسالتهم فى خدمة الأدب والفن باختفائهم عن العيون والأسماع ... الحق يا أخى أننى أعجب معك لهذا الاختفاء الذى لا أعرف سبباً يبرره أو يدعو إليه !

وأنتقل إلى الرسالة الثامنة ... إن مرسلها الأديب الفاضل ع . ص المرابى من « ساحل سليم » يعقب على ما كتبته حول الصبى الأمريكى المقعد الذى أذاع نداء الحاجة إلى ذوى القلوب الرحيمة من إحدى دور الإذاعة الأمريكية بقوله : « إن هذا الصبى المقعد لو كان فى مصر لما سمح له بالوقوف أمام باب الإذاعة ، فما بالك بالوقوف أمام الميكروفون الذى أصبح وقفاً على المحاسيب والأذناب .. ومع ذلك يقولون إن الشرق شروق ونور وإن الغرب غروب وظلام » !

أما الرسالة التاسعة فمن « المدلية » ، يعبر فيها الأديب الفاضل مصطفى أحمد عثمان عن رغبته فى أن أفسح له طريقاً إلى صفحات « الرسالة » بعد استئذان عميدها فى عرض نتاج قلمه .. إن ردى بعد شكره على كلماته الأولى التى خصنى فيها بفيض من ثنائه ، هو أن « الرسالة » ترحب بكل إنتاج أدبى يتسم بالنضج والأصالة بصرف النظر عن الأسماء والألقاب !

وهذه هى الرسالة العاشرة والأخيرة يقول فيها مرسلها الأديب القاهرى الفاضل عمر اسماعيل منصور بعد كلام طويل عن الأستاذ سلامة موسى : « أناشدك الله يا سيدى ألا تكتفى بما كتبت عن هذا الرجل ... إننا نلح فى الرجاء بأن تنزع عنه هذا الثوب الشفاف الذى يضلل به المخدوعين والجهلة وأنصاف العقول » !

وأنا أقول للسيد عمر إن الأستاذ سلامة موسى أهون من أن أشغل نفسى به وأشغل معى القراء ، بعد أن كتبت عنه ما كتبت على صفحات « الرسالة » !

ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص الشكر وعاطر التحية .

حقوق الأدباء بين الرعاية والإهمال :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم منذ أيام كلة في « أخبار اليوم » أشاد فيها بتلك الروح المثالية التي تجلت في موقف معالي وزير المعارف من الأستاذ الشاعر على محمود طه والدكتور طه حسين بك فقد أصدر الوزير أمراً بتعيين الشاعر وكيلا لدار الكتب المصرية ثم أفاض في الثناء على الدكتور بمناسبة فوزه بجائزة من جوائز المغفور له الملك فؤاد ، وهي جائزة الأدب . أشاد الأستاذ الحكيم بتلك الروح النادرة لأن صاحبها قد تجرد من رداء الحزبية حين كرم الأدب في شخص الكاتب والشاعر ، وكلاهما لا يمت بصلة من الصلات إلى حزب الوزير وميوله السياسية ... ثم انتهى الأستاذ الحكيم إلى أن هذه الظاهرة الكريمة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الأدب بخير ما دامت الدولة ترعى حقوق الأدباء

كتب الأستاذ الحكيم هذه الكلمة في « أخبار اليوم » فانبرى الدكتور إبراهيم ناجي للرد عليه في جريدة « صوت الأمة » بكلمة أخرى ذهب فيها إلى أن الأدب في مصر ليس بخير كما يخيل للأستاذ توفيق الحكيم ؛ لأن الدولة إذا كانت قد رعت حق الكاتب الكبير والشاعر الكبير فما أكثر المهملين من الكتاب والشعراء ... أولئك الذين لم يحظوا من رعاية الدولة بنصيب ؟

إنني أعقب على الرأيين فأقول : إن بعض الأدباء في مصر قد ظفروا برعاية الدولة وهم أهل لهذه الرعاية ، فليس لمعترض أن يعترض على ما رد إليهم من حقوق ... من هذا البعض الدكتور طه حسين والشاعر على محمود طه ! ولا أستطيع أن أختلف مع الدكتور ناجي في أن هناك أدباء قد أغفلت جهودهم في خدمة الأدب إغفالا لا يليق بدولة ناهضة أن تقدم عليه ... كما لا يستطيع الدكتور ناجي أن ينكر أن هناك أدباء قد نالوا من عطف الدولة أكثر مما يستحقون لأنهم أبواق ، ولا حاجة بي إلى الإفصاح فهم أغنياء عن التعريف !!

نخرج من هذا كله بأن الأدب في مصر بخير بالنسبة إلى الفئة الأولى من الأدباء ، وليس بخير بالنسبة إلى الفئتين الأخريين وهذا هو التحديد الذي يجب أن يذكر عند التعرض لموقف الدولة من الأدب وأهله بوجه عام !

الفن والحياة بين أمس واليوم :

هذا عنوان كلة في « الأهرام » تناولت فيها السيدة بنت الشاطئ بالعرض الطلي والتحليل النابض موقف الفن من الحياة بين الماضي النائر والحاضر المشهود . ولقد كانت الكلمة من وحي مشاهدتها للحفل الرائع الذي أقيم لتكريم الأدب والعلم في جامعة فؤاد الأول ، حين أقبل مندوب صاحب الجلالة الملك ليقدم الجوائز للمتفوقين الأعلام .

لقد كان رائعاً حقاً أن تجول الأديبة الفاضلة بفكرها بين الأمس واليوم ، لتقوم بموازنة طريفة بين موقف الفن من القصر وموقف القصر من الفن في عهد القدامى والمحدثين ... يوم أن كان الشعراء يقفون بأبواب الملوك وقفة الذل والخضوع في انتظار صلة قد يظفرون بها وقد لا يظفرون ، ولا بأس لديهم من ضيعة الكرامة الشخصية والعقلية في غمرة القول الملق والشعور المصنوع ... كما فعل ابن نباتة السعدي حين ورد على ابن العميد ، وكما فعل ابن هانئ الأندلسي حين طرق أبواب المعز ، وكما فعل أبو الطيب المتنبي حين أحسن الظن بتقدير كافور !

من عهد أولئك القدامى تنتقل السيدة بنت الشاطئ إلى عهد المحدثين بهذه الكلمات : « فأين هذا مما نرى اليوم ؟ اليوم تقدم جائزة الملك تقديراً للأدب وتكريماً للعلم ! ... ولمن تقدم ؟ للأديب والعالم ، لم يقفا بباب ، ولا امتهنا بسؤال ، وإنما عكفا على الدرس وشغلا به ! ... وعلى أي شيء تمنح ؟ على درس أدبي لم يرد فيه ذكر للملك صاحب الجائزة ، وعلى بحث علمي لا صلة له بالقصر ! ... وأين ؟ في دار العلم ، يسعى بها من القصر الملكي رسل كرام مختارون ، تقديراً للجامعة واعتزازاً بها ! ... وهكذا أصبحت أموال الملوك ترعى الفن والعلم وتبذل لرفع شأنهما ، وقد كانا — كلاهما — من قبل مسخرين في خدمة كل ذي مال أو سلطان ! فهل انعكست الأوضاع ودارت الدنيا وتغير نظام الكون ؟ كلا ، لا شيء من ذلك ... فإن مشهد اليوم ومشهد الأمس ليسا سوى مظهرين اثنين ، لصلة الفن بالحياة » .

هذا كلام جميل ، وأجمل منه قول الأديبة الفاضلة : « ونحن (الأبناء) الذين اتخذنا الكرامة شعاراً وحاربنا الأدب الرخيص المرتزق ، نبارك هذا المظهر الكريم ، ونرى فيه طلائع النهضة التي طالما تمثلناها ، وبشرنا بها » ! .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

تقدير الدولة للأدباء :

بدا في الأسبوعين الأخيرين تقدير الدولة للأدب والأدباء في أشخاص جماعة كريمة من رجال الأدب ، فقد ظفر الدكتور طه حسين بك بجائزة فؤاد الأول الأدبية لهذا العام ، وتفضل مندوب جلالة الملك في الحفل الذي أقيم لذلك بالجامعة فصافح عميد الأدباء وسلمه الجائزة . وقد كان للعطف الملكي الكريم نحو الدكتور طه وقع حسن وأثر بليغ وخاصة في نفوس الأدباء ، لما ينطوي عليه من التكريم والتقدير لعميدهم العظيم .

وانتخب أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات عضواً بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ولم يكن من اللائق أن يظل الأستاذ بعيداً عن المجمع وقد ضم أقرانه من أعلام الأدب في مصر ؛ وإن لانتخابه لمعنى من التقدير الخالص ، فهو لا ينتمي إلى حزب يقدمه ولا شيعة تنصره .

وعين الأستاذ الشاعر علي محمود طه وكيلا لدار الكتب المصرية ، وكان قد ترك خدمة الحكومة لملابسات اضطرته إلى الاستقالة ، ولكن معالي الأستاذ علي أيوب وزير المعارف مسح على آثار تلك الملابسات فأعاد للشاعر حقه . وإن لمعاليه فضلا ملحوظاً في ذلك رددته الصحف وتحدثت به المجالس ، إذ نادى بهذا العمل وبتحيته السمحة للدكتور طه حسين في احتفال الجامعة على كل اعتبار من الاعتبارات التي اعتدنا أن نرى رجال السياسة عندنا يضعونها موضع الاهتمام . ويضاف إلى ذلك عطف معاليه على الأستاذ محمد سعيد العريان ؛ إذ أحله المحل اللائق به في الوزارة بعد أن تقاذفته الوظائف المختلفة على كره منه .

وإن الدولة ، إذ ترعى الأدب بمثل هذه العناية وذلك الروح إنما تقوى الحركة الأدبية في الأمة وتنمى ثروتها الفكرية الخالدة وإذا كانت الدولة تهتم بتقوية الجيش وتعزز أسلحته للدفاع عن حرية البلاد واستقلالها ، فإن أقلام الأدباء لها شأنها في الدفاع المعنوي ضد كل الشرور والآفات إلى ما نضطلع به من رسم المثل وتحقيق الغايات البعيدة والقريبة .

فن الأدب في الإذاعة :

لا أقصد هذه الأغاني الرخوة التي يشكو بعض الناس من إذاعتها على أبنائهم وبناتهم إذ يخشون بأسها على أخلاقهم ؛ ولا أقصد تلك الألحان المثيرة التي أذاعتها الإذاعة فاعترض عليها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وأقنع إدارة الإذاعة بأنها تنافي الحياء ، فاقتنعت . وكثيراً ما تخطئ الإذاعة ، وقليلا ما تهتم بإصلاح الخطأ ، ويكون هذا القليل من قبل ما لا قبل لها بدفعه .

واندع هذا ، فما إليه قصدت ، إنما أقصد الأدب بالمعنى الفني وما إليه من ألوان الفكر والثقافة . والأدب في إذاعتنا المصرية قليل من زمان ، ولكننا نراه أخيراً يكاد يختفي في برامجها ، وقد كانت تذيع سلسلة اسمها « أعلام الأدب العربي » وقد قطعتها منذ شهور . وحسناً فعلت ، فما كان هذا البرنامج إلا صفحات من مذكرات تاريخ أدب اللغة في المدارس الثانوية ، ولست أدرى هل منعتها الإذاعة لتفاهتها وسخفها أو لغير ذلك ، ولكن هلا فكرت في برنامج أدبي آخر؟ ويقولون إن في الإذاعة قسما لسماع الإذاعات الأجنبية للاستفادة من برامجها ، فهلا استمع هذا القسم إلى الإذاعات العربية المختلفة التي تقدم ألواناً حية من الأدب العربي قديمه وحديثه؟ وفي العام الماضي قام مدير الإذاعة برحلة إلى عواصم أوربا لزيارة دور الإذاعة فيها والاطلاع على برامجها ... أفلا قام بزيارة لدور الإذاعة العربية ليرى كيف تنتفع بالكفايات الأدبية وخاصة المصرية ؟ وقد زار فيما زار دار الإذاعة البريطانية ، فهل عرج على القسم الأدبي فيها ورأى الجهود المصرية الأدبية فيه ؟ .

ومما كانت تقدمه الإذاعة من ألوان الأدب وأمسكت عنه التعريف بكتب الأدب العربي القديمة ، وكان يقوم بذلك الأستاذ علي أدهم على خير وجه ، ويعلم علام الغيوب لم منعت الإذاعة هذا البرنامج ، وتقول هي في مجلتها إنها تهتم بالأحاديث التي تعالج الشؤون الحيوية والمسائل العامة ، ولنفرض أن المستمعين جميعاً

أغلقوا أذهانهم وأذواقهم دون الغذاء الأدبي والفكري وأصبحوا لا تنبههم إلا المنافع المادية القريبة ، فإذا تقدم لهم الإذاعة! نظرة واحدة إلى البرامج — ولا أجشمك الإصغاء إليه — ترى منها أن أكثر الموضوعات لا تمدنتها ، فهذا «أهم حوادث الأسبوع» يتلو عليك ما نشرته الصحف من أيام ، وكذلك البرلمان في أسبوع ، وهذه أحاديث يلقيها كبار الموظفين كالنشرات التي تصدرها المصالح بالإحصاءات وما تم من الأعمال وما أدرج في مشروع الميزانية إلى غير ذلك من الهذر الذي لا فائدة منه إلا بإقفال أجهزة الإذاعة فيخف الضغط على تيار الكهربا ويقل الاستهلاك ...

الليل لنا :

هو الفلم الذي عرض أخيراً بسينما استديو مصر ، ألفه وسف جوهر ، وأخرجه ومثل دور البطل الأول فيه محمود ذو الفقار ، واشترك في التمثيل سليمان بك نجيب والمطربة صباح . بدأ عرض الفلم فإذا حشد من الحوادث المختلطة المزدحمة يؤدي إلى نشوء حب بين نوال (صباح) المغنية بفرقة الكواكب وبين طبيب شاب (محمود ذو الفقار) من أبناء الباشوات ، ينتهي هذا الحب إلى الزواج . ولا بد أن تجتاز كل هذه الحوادث الكثيرة حتى تصل إلى نبضة القصة أو فكرتها ، عند ما تلجأ نوال إلى شقة رسام شاب هرباً من الشرطي الذي اشتبه فيها فظنها من بنات الليل ، وكانت في أثناء ذلك لا تزال تعمل بفرقة الكواكب ولم تتزوج بعد من الطبيب ؛ يستقبلها عباس (الرسام) في شقته ويعرض عليها الشراب فتأبى ، فيستشعر نبل الفتان ويرفق بها ، ثم يسرف في الشراب ويأخذه النوم ، ثم يصحو فيجدها نائمة على مقعدها فيتأمل جمالها ويغطيها بمعطفه ويعود إلى النوم ، ثم تصحو هي فتجده نائماً على مقعده فتغطيه بالمعطف ، وتتسلل خارجة بعد أن اطمأنت إلى ذهاب الشرطي من أمام المنزل . ويتهم بعد ذلك الرسام بقتل عمه لخلاف بينهما ، وقد وقعت جريمة القتل في الليلة التي كانت نوال بشقته فيها ، وفي الوقت الذي كانا فيه معاً ؛ وتعتد عما كنه يطلب شهادة نوال وكانت قد تزوجت من الدكتور وحيد (الطبيب ابن الباشا) ويصل علم ذلك إلى زوجها وأبيه ، فيعمل الباشا (سليمان نجيب) على إبعادها عن الشهادة خشية

كشكول الأسبوع

▫ انتخب الأستاذان أحمد حسن الزيات وإبراهيم مصطفى عضوين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية مكان المرحومين الجبل باشا والجارم بك . وكان بين المرشحين الأستاذ محمد توفيق دياب بك والدكتور بشر فارس ، وقد أرسل كل منهما برقية تهنئة للأستاذ الزيات .

▫ بالمجمع الآن كرسيان شاغران ، خلا أولهما بوفاة الدكتور محمد شرف بك ، والثاني بوفاة المستشرق فيشر ، وقد تلقى المجمع من زوجته رداً يتضمن الشكر على تعزية المجمع لها ، وبناء على هذا الرد أعلن المجمع خلو المكان .

▫ تألفت في لبنان لجنة لتكريم الشاعر اللبناني الكبير بولس سلامة لمناسبة منحه وسام الاستحقاق الإيراني . وستقام حفلة التكريم ببيروت في ٢٢ مايو الحالي . وقد وجه الأستاذ رشيد يوسف بيضون نائب بيروت ، الدعوة إلى الأدباء المعروفين في العالم العربي للاشتراك في الحفلة بكلمات تلقى فيها أو تنشر في كتاب يضم كل ما يتعلق بتكريم الشاعر .

▫ يقول الأستاذ توفيق الحكيم إنه لما كان نائباً في الأرياف كان أحياناً يركب الحمار في بعض الطرق الزراعية ، فلاحظ أنه — أي الحمار — كثيراً ما يترك الطريق الممهد الواضح ويعرج يميناً أو يتحرى شمالاً ، ثم يقول الأستاذ : إن الحمار فيلسوف ، لأنه يترك الحقائق الواضحة ويعنى نفسه بالبحث هنا وهناك .

▫ تقدم الإذاعة سلسلة تمثيليات بعنوان «عيسى بن هشام» مأخوذة من كتاب «عيسى بن هشام» للمرحوم محمد بك المويلحي ، وقد رأى شقيق المؤلف خليل بك المويلحي أن هذه الإذاعات مسخ للصور الأدبية في الكتاب ، ومن ذلك أن الإذاعة تجعل الباشا بطل «عيسى بن هشام» يقول لامرأة في الترام : (يا ملبوحه) إلى غير ذلك . فأقام دعوى يطالب فيها بتعويض ألف جنيه . وقد حدد لنظرها يوم ١٣ يونيه أمام قاضي التحضير بمحكمة مصر الكلية .

▫ وكذلك أقام الأستاذ محمد الأسمر دعوى ضد الإذاعة ، لأنها لم تدفع إليه أجر أغنية «فرحة النصر» وتكملة قصيدة «سلوا قلبي» وهو يطلب لذلك تعويضاً خمسمائة جنيه . وقد حدد يوم ٣٠ مايو الحالي لنظر هذه القضية أمام قاضي التحضير بمحكمة مصر .

▫ أسهل طريقة للحصول على لقب دكتور مثلا أو (بك) مثلا أيضاً — أن تلقي محاضرة في نادي رابطة الأدباء .

▫ أنشأت إدارة الإذاعة مدرسة لتربية الأصوات ، فإذا كان الناس لا يطيقون أصوات من تختارهم الإذاعة ، فما بالك بمن تربي أصواتهم ؟

▫ من الناقشات الملونة التي تدور رحاها على الصفحة الثالثة من «الأهرام» الخلاف على «أسف له» فواحد يخطئه وآخر يجيزه ، وهو شيء يؤسف له ...

▫ وافق مجلس الوزراء على اعتماد ثلاثين ألف جنيه للمساهمة في إنتاج فلم محمد علي الكبير الذي يقوم بإعداده ستوديو مصر .

تلوث سمعه وشانى هى صراعاً هائلا بين واجبين. : المحافظة على كرامة أسرة الزوج ، وإنقاذ الشاب البرىء من الإعدام وليس له دليل على البراءة غير شهادتها ، وتبدع صباح فى تمثيل هذا الموقف وتصب حيرتها فى أغنية رائعة . وأخيراً تذهب إلى المحكمة وتشهد بأنها كانت مع المتهم فى شقته وقت وقوع حادث القتل ، وتم ذلك فى موقف أجاد المخرج تهيئته بحيث لم يغضب الباشا الذى كان يعارض فى شهادة زوج ابنه أشد المعارضة .

هـذا الجزء الذى ذكرته من وقائع الفلم هو أقوم ما فيه ، ولـكنه لم يأخذ حقه من العرض والإبراز ، بل راح ضحية الزحمة والاختلاط فى حوادث القصة وضحية تلك الفواصل الطويلة من الرقص والغناء ، والغناء خاصة فى غير موقعه ؛ ولم أفهم الحكمة فى عرض منظر الرقص الزنجى الذى كانت تغنى فيه نوال وهى مطلية بالسواد فى شكل قبيح أمام حبيبها الدكتور وحيد الذى جاء يشاهدها فى فرقة الكواكب بعد أن عرف أنها ممثلة ، وتسميها حوادث الفلم ممثلة مع أنها لم تمثل شيئاً إنما كانت تغنى فقط ، هل أريد بذلك أن يراها الدكتور على هـذا القبح فيزداد شغفه بها ؟!

وفى منظر واحد يبدو على مسرح فرقة الكواكب أبو الهول والأهرام فى وسط أشجار وأزهار .. وغناء لبنانى ورقص مصرى بلدى ! والقدرة التى تجمع بين كل ذلك فى مكان واحد هى التى تجمع فى طبق واحد بين السمك واللبن والتمرهندى ...

وعند ما تلتقى نوال وصاحبتها الراقصة بالدكتور وحيد لأول مرة ، وتزعمان أنهما مدرستان ، تنفرج فلقتا ثوب الراقصة عن بطنها العارى فى زى الرقص ، فيلاحظ الدكتور ذلك ، وأنه لا يتفق مع ادعائهما أنهما مدرستان ، فتقولان إنهما كانتا فى حفلة مدرسية ... فأى حفلة مدرسية ترقص فيها المدرسات عاريات البطون ؟ !

وأظن أن حكاية ابن الباشا الذى يحب البنت الفقيرة (الحلفة) قد أكلت عليها الأفلام المصرية وشربت حتى شبعت وارتوت ، ومن المؤسف أنها تلف فى هذا الفلم الجزء الدعم القيم ؛ ومن عيوب الأفلام المصرية أن بعضها يحاكى بعضاً ، ثم تتكرر المحاكاة حتى تمل ، ثم تسخف !

أما اسم الفلم (الليل لنا) ، فهو كلمة من أغنية غنتها المغنية فى فرقة الكواكب بالليـل ... ولسـت أدرى إذا كانت المغنية غنت بالنهار — هل كان يسمى الفلم « النهار لنا » ؟ !

دفاع شاعر عن الربيع :

يقول صديق الشاعر الأستاذ إبراهيم محمد نجا : أنت تقول يا صديق إن الربيع لا وجود له فى الطبيعة المصرية ، والربيع موجود أمام ناظرى الآن وأنا أكتب لك هذه الكلمات ... موجود فى الحديقة التى أشرف عليها من نافذتى ، موجود فى أزهارها المختلفة الأشكال والألوان ، هذه التى كانت فى فصل الشتاء سراً فى باطن الأرض ، حتى جاء الربيع فكشف السر وأزاح الستار ! وقد أعجبنى قوله : أما اضطراب الجو فى بعض أيام الربيع فذلك شىء لا يؤثر على الشعر والشعور ، لأن القصيدة هى وليدة حالة نفسية فى لحظة زمنية تحلق فيها النفس بالمشاعر وتعلق فيها الذهن بالتأملات .

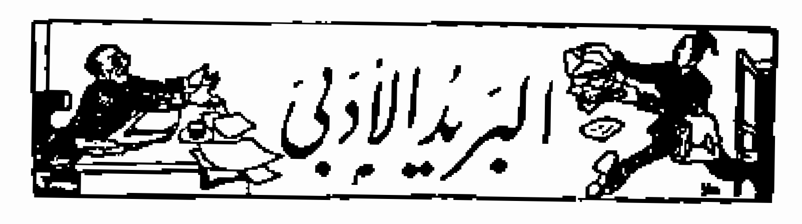
وهو دفاع صادق من شاعر إزاء هجوم رآه موجهاً ، ضمناً ، إلى ما قال من الشعر فى الربيع ، والأستاذ نجا قصيدة فى العدد الماضى من « الرسالة » عنوانها « ربيع وربيع » وقد عدل فى خلالها عن الحديث فى ربيع الطبيعة إلى ربيع القلوب والأمانى ، وأنا أوافقه على هذا النحو فهو حقيقة شعورية ظاهرة ، أما ربيع الطبيعة فى مصرفأنا لا أزال أسأل : أين هو؟ وقد وصل إلى كتاب الأستاذ فى يوم شديد القيظ وهو اليوم التالى لكتابته ! فإن كان ينعم بالربيع فى الاسكندرية ، حيث هو ، فإنا فى القاهرة لا نجد ربيعاً ننعم به ، وقد نالنى الربيع المزعوم بالقذى فى عينى فحجب وجه « الأدب والفن » فى الأسبوع الماضى ... وإذا كانت الاسكندرية تنعم بالربيع فربيعها إذن يتصل بربيع آخر ، هو الصيف على شاطئ البحر ، كما يقول الأستاذ فى رسالته ، ربيع آخر أزهاره السابحات الفاتنات !

وقلت فى كلمتى السابقة : إن الفصل الممتع عندنا حقا هو فصل الخريف ، وقد قال البحترى :

وليالى الخريف خضر ولـكن شغلتنا عنها ليالى الربيع

وكان البحترى يعيش فى بلاد ذات ربيع جميل ، ولذلك شغلته ليالى الربيع ، أما نحن فـ لنا — ما عدا الأستاذ نجا فى الاسكندرية — غير ليالى الخريف .

عباس خضر



العمل الأدبي :

عرف الأستاذ أحمد أحمد بدوي العمل الأدبي في مقاله بالرسالة الغراء أنه « التعبير عن تجربة للأديب ، بألفاظ موحية » وقد لفت هذا التعريف نظري إلى ما عرف به الأستاذ سيد قطب العمل الأدبي في كتابه « النقد الأدبي . أصوله ومناهجه » أنه « التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية » ..ولعل التعريف الثاني أعم وأوعى . . واستشهد الأستاذ بأبيات لقتيلة بنت الحارث وهي تعاتب الرسول ... الخ . بأبياتها البليغة ... وأن الرسول (صلعم) بكى .

فأذكر هنا أيضاً أن المرحوم الأستاذ الكبير النشاشيبي قد تعرض إلى هذه الأبيات « في إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب » في الرسالة الزهراء العدد ٦٤٥ السنة الثالثة عشر — ينقله عن السيرة لابن هشام — تعرضاً أثبت اختلاقها . وقال المرحوم في تعليقه على النقل : « إن الذي قيل هو من الأباطيل ، فما عملت قتيلة في أخيها شعراً ، ولم يقل النبي ما عزى إليه ، وما كان النضر المتشد المجهد في هدم ذلك البناء الإسلامي الإنساني العربي حقيقاً بأن يمن ذلك البانى عليه » ولولا أن الخبرين نشرا في الرسالة الزهراء ، ما كتبت هذه الكلمة ، وذكر ... وجاء أيضاً في الاستشهاد بقول الشاعر « وهو حدونة الأندلسية » « نزلنا دوحه فحنا عليه » والصواب « حنا علينا » حتى يستقيم المعنى ويجمل ؟ أبقى الله الرسالة سجلا للحق والأدب الرفيع .

صبري حسن علوان

١ — الأشقياء :

قرأت حديثاً في الصحف : أن الحكومة توالي البحث عن هؤلاء الأشقياء . والكتاب يريدون المجرمين والقتلة واللصوص . ويستعملون كلمة الشقي بمعنى المجرم أو الجاني . والصحيح الذي تؤيده المعاجم : أن الشقي ذو الشقاء . والشقا ، والشقاء ، والشقوة ، والشقاوة : البؤس والشدة ونقيض السعادة .

فالصواب أن يقال : توالي الحكومة البحث عن الجناة والمجرمين .

٢ — الكساء :

نقرأ كثيراً ، أن كثيراً من الوزارات قد أنيلت : لأنها لم تهييء للشعوب الغذاء والكساء . وهذا تعبير خاطيء ؛ لأن الكتاب يستعملون الكساء بالمد : لمطلق الملبوس .

والحق الذي تؤيده النصوص أن الكساء : ثوب بعينه . وهو نحو العباءة من الصوف . قال الشاعر :

جزاك الله خيراً من كساء   فقد أدفأتني في ذا الشتاء
فأمك نعجة وأبوك كبش   وأنت الصوف من غزل النساء

والصواب : أن يقولوا : « الكسا » بالقصر مع ضم الكاف جمع كسوة بكسر الكاف وضمها . وهو كل ما يكتسى .

عبد السميع علي محمود
المدرس بمعلمات أسيوط

رجعة إلى القلم الصنع :

قلت في عدد سابق معقباً أن « (قلم صناع) خطأ و أن الصواب (قلم صنع) لا صناع ؛ إذ الصنع وصف المذكر ، والصناع للمؤنث . غير أن هذا القول لم يرض الأستاذ العجمي وأصر على صواب « (قلم صناع) مستدلاً بهذه العبارة في القاموس (رجل صناع اليدين ، وصناعهما) .

والحق أن (القلم صناع) خطأ ، والعبارة القاموسية لا تنهض دليلا على الجواز ، لأن (اليد) مؤنثة (والقلم) مذكر . فقول القاموس (صناع اليدين) وصف مضاف للفاعل المؤنث فلا تقيس القلم المذكر على اليد المؤنثة . وإليك ما في لسان العرب نصل الصاد حرف النون قال : (رجل صنع اليد وصناع اليد وامرأة صناع اليد .. والذي اختاره ثعلب رجل صنع اليد وامرأة صناع اليد .. ورجل صنع اللسان ولسان صنع) .

وفي هذا الكفاية ؛ لمن يريد الهداية .

(المنصورة)   اسماعيل أبو ضيف

الضبع يذكر ويؤنث:

قرأت كلة في مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان «الضبع مؤنثة» أنكر فيها كاتبها تذكير الضبع، وهذا ليس بصحيح؛ فقد جاء في المصباح ومعيار اللغة: الضبع بضم الباء في لغة قيس وبسكونها في لغة تميم، وهي أنثى، وقيل تقع على الذكر والأنثى، وربما قيل في الأنثى ضبعة بالهاء كما قيل في سبع وسبعة والذكر ضبعان بكسر الضاد كسرحان، والأنثى منه ضبعانة اهـ

وجاء في حياة الحيوان للدميري وعن ابن الأنباري أن الضبع يطلق على الذكر والأنثى، وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوي في كتاب الافصاح في فوائد الإيضاح للفارسي عن أبي العباس (المبرد) وغيره اهـ

علي حسن هلال
المجمع اللغوي

١ — وقعة صفين:

قال الدكتور جواد علي في الرسالة: (وقد ألف غير واحد من المؤرخين في وقعة صفين)، وسرد طائفة منهم، وفي (تاريخ الإسلام للذهبي) الذي يطبع في القاهرة أن ممن ألف في هذا الموضوع يحيي الجعفي، حيث نقل عنه.

٢ — رانني زللك:

ويقول الأستاذ عبد الستار أحمد فراج في عدد «الرسالة ٨٠٧»: (واقتبسوا من لغاتهم ما راق لهم). والصواب: (ما راقهم).

عبد الله معروف

إعلان عن جوائز فاروق الأول سنة ١٩٥٠

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التي سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فاروق الأول لسنة ١٩٥٠ هي:

١ — علوم الحياة، ويدخل فيها بنوع خاص النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشري والحيواني والطب وفروعه والأحياء المائية.

٢ — أ — العلوم الكيميائية، مثل الكيمياء العضوية، وغير العضوية، والكيمياء الحيوية، والتغذية.

ب — العلوم الجيولوجية، مثل الجيولوجية، وعلم الطبيعيات الأرضية (الجيوفيزيقا) والتعدين.

٣ — العلوم الاجتماعية:

أ — علم الاجتماع، وعلم التربية، وما يتصل بذلك من العلوم.

ب — الفلسفة وعلم النفس وما يتصل بذلك من العلوم.

جـ — التاريخ.

د — الجغرافيا.

هـ — الآثار.

ويشترط في الانتاج الذي يقدم لنيل الجوائز:

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والانتاج القومي، وتقدم العلوم.

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان.

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى.

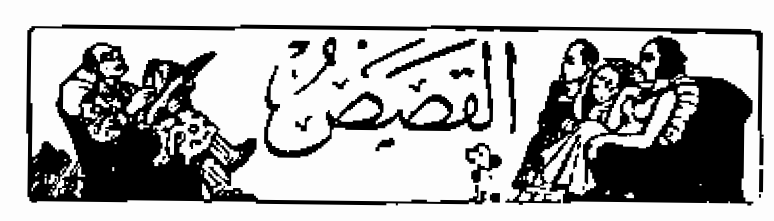
ويرسل الانتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف في موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٩. ولا تسترد النسخ المرسلة في أية حالة.

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٥٠. لمناسبة عيد الميلاد الملكي السعيد.

وزير المعارف العمومية

علي أيوب

١٧٨٤



قصة مصرية :

« من وراء الأبد »

للأستاذ أنور المداوي

(إلى الذين يفهمون القصة على غير ما تفهم القصة على أنها لوحة فنية ، وظلال إنسانية ، وفكرة من أعماق الحياة) .

يا صديقي العزيز :

تسألني عن هذا السر الذي أثار فضول الناس ، سر زواجي الذي لم يتم ؟.. ولم لا تقول إنه أثار فضولك أيضاً فكتبت إلى تسألني !! ومع ذلك فسأكشف لك عن سري الذي أصبح ذكرى ... كل ما أرجوه منك أن تحتفظ بهذه الذكرى الغالية كما احتفظت بغيرها من ذكريات شبابنا . فلا تدعها إذن تترك مكانها من قلبك ، حسبها أنها تركت مكانها من قلبي ... لأقص عليك وحدك قصة الحرمان !

أتذكر يوم كنت تصفني بأني إنسان أضاع عمره محلقاً على أجنحة الخيال يرتاد عوالم مجهولة ، ويطرق آفاقاً لم يطرقها مخلوق على أرض البشر ؟! . أنا معك يا صديقي في أنني كنت وما أزال ذلك الإنسان الذي يقف على الأرض كما يقف غيره من الناس ، ومع ذلك فهو يمد يديه إلى السماء ليلتقط النجوم ! .. لقد كنت أعيش في دنياي الخاصة وكنت تعيش في دنياك ، وعلى الرغم من هذا التناقض فقد التقينا حول مائدة العلم في الجامعة ، لقاء شب من لحظاته الأولى بين أحضان الصداقة ... وكانت صداقة رتيبة حلوة ، لم يعكر صفوها بعد الشقة بين طبعي وطبعك ، وبين مزاجي ومزاجك . أنت في أعماق الواقع وأنا في أعماق الخيال ... ومع ذلك فقد التقينا في الجامعة ، وتركناها ذات يوم إلى الحياة ، وظللنا كما كنا صديقين !

وفرقت بيننا بعد ذلك الأيام . بقيت أنا في القاهرة وذهبت أنت إلى أطراف الجنوب ... واختلف طريقي وطريقك ألم نكن دائماً في نظرتنا إلى الحياة مختلفين ؟! لقد فضلت العمل في وظائف الحكومة وآثرت العمل الحر ... أتذكر يوم خطر لي أن أفتح محلا لبيع الزهور في حي الزمالك ؟ إنك رميتني بما كنت ترميني به دائماً يوم كنا في الجامعة ... بالنزق والطيش والجري وراء الخيال ! لقد كنت تقول لي بلهجتك الساخرة الحبيبة : زهور ؟ يالك من شاعر ! ماذا تجني من وراء الزهور يا حليف الخيال ؟.. ستذبل زهورك يوماً ما ، وستمشي وحدك في جنازة العطر !! ومضيت في طريق لا أكاد أصغي إلى سخرياتك . فتحت المحل ، وربحت الكثير من المال ، وانتصرت بسلاح الخيال في أول معركة خضت غمارها ضد الخيال ! .. ومع ذلك فإن كلماتك لا تزال ترن في أذني رنينها بالأمس ، ترى أكنت تقرأ صفحة الغيب سطوراً خطتها لي وحدي يد الزمن ؟ أم أنك يوم أطلقت جملتك تلك الساخرة كنت تنفذ بوعيك الباطن إلى ما وراء المجهول ؟!.. لقد ذبلت زهوري يا صديقي ، ومشيت وحدي في جنازة العطر ، والأمل ، والدنيا التي ذهبت إلى غير ميعاد !

أتذكر يوم كنت ترغبني في الزواج وتقود أفكاري إلى حواء ؟ لقد كنت ألقاك دائماً بجواب واحد هو أنني لم أجدها ! إن الذين يعيشون في دنيا الواقع ترضيهم نفحات من الجمال المادي المشدود بالأرض ، أما أنا فكنت أبحث عن جمال آخر ... جمال تربطه بالسماء خيوط إلهية غير منظورة ! إن جمال الروح يا صديقي هو الذي كنت أبحث عنه ، وحين يئست من وجوده على أرض البشر رحت أنشده في سماء الوهم ! لقد كنت ألتمس في الزهور شيئاً من العزاء ... أريجها ، نضارتها ، ألوانها البهيجة ... أليس في هذا كله بعض ما كنت أنشد من جمال الروح ؟ هل تصدق أن هذا الخاطر هو الذي حملني على أن أفتح محلا لبيع الزهور أنسقه بذوق الشاعر وخيال الفنان ؟ ! ... بالله لا تدع الابتسامة ترف على شفتيك ، فقد تستحيل في عينيك دموعاً ! !

لعلك تستحثني على أن أبدأ القصة ، فاستمع إذن لقصتي :

كان أول لقاء بيني وبينها ذات صباح ، حين هبطت من عربة التاكسي ودلفت إلى المحل تطلب باقة من الزهور ... ولأول مرة رأيتني أترك مكاني ، وأسبق أحد عمالي إلى لقائها ، وأقدم لها بنفسي باقة من زهور البنفسج غلفتها — كما طلبت — بزهور البانسيه ، ونظرت إلى الفتاة نظرة امتنان ، وتمتمت ببضع كلمات شكر ... وخرجت !

كان مظهرها ينم عن حزن عميق ، تجلى واضحاً في قسمات الوجه ونبرات الصوت ... وخيل إلى أن هناك عزيزاً قد فقدته ، وأن تلك الزهور قد أعدت لتوضع فوق القبر الذي لف أحلام شبابها بغلاف من الصمت الأبدي الرهيب ، هناك حيث تقفز من كوى الفناء أشباح وطيوف ! أما جمالها فكان فريداً في نوعه ... لم يكن جمالا صارخاً يهز العيون حين تنظر إليه ، ولكنه كان جمالا هادئاً ، معبراً ، يهز مسارب الروح والعاطفة ... كان أشبه بقطعة موسيقية حزينة يتنزى لإيقاعها الفكر الحائر والشعور الملتاع ! ... أما عيناها ، فقد كان فيهما أكثر من معنى مبهم ، لقد كان فيهما يا صديقي آثار رحلة طويلة إلى عالم مجهول ... وفي هذا اللقاء الأول وثبت للجمال يتشح في الربيع بوشاح الأسى والشجن ! وتكرر بعد ذلك لقاؤنا في موعد لا يتغير ... في الساعة العاشرة من صباح كل ثلاثاء ، حين تهبط من عربة التاكسي ، تلك الزائرة الحزينة لتطلب كعادتها باقة من زهور البنفسج أغلفها كعادتي بزهور البانسيه ! وعلى مر الأيام نشأ بيننا نوع من الود البريء تحول معه الرثاء في قلبي إلى حب عميق ... وجاء علي يوم شعرت فيه بأن أحلامي الحيرى في خضم الحياة ، تلك التي ضلت طريقها في متاهات الخيال السابح وراء الوهم قد وجدت ملاذها هنا ... في هذا الوجه النبيل الذي شمت منه في روحي ومضات الأمل ! !

سألت عن أسرتها فعلمت أنها من أكرم الأسر ، وسألت عن قصتها فعلمت أن خطيبها الشاب قد ودع الحياة منذ شهور ، وأن هذا الأسى الدفين هو كل ما خلف لها من ثروة أثقلتها الأحزان ... وفكرت في غير تردد بأن أتقدم لخطبتها لأملأ فراغ قلبها ودنياها وفراغ قلبي ودنياي ، وخيل إلى أني قد وجدتها ... حواء ، تلك التي قضيت العمر أبحث عنها في سماء الوهم حتى لقيتها أخيراً على أرض البشر !

وفي رحاب الزوجة الحبيبة ذقت — لأول مرة — طعم الحياة ... كانت الحياة قبل أن ألقاها أشبه بفكرة شريدة معذبة لم تجد دفء خاطر تأوي إليه ! كانت لحناً حائراً لا معنى له ... لحناً نبذته شفتاي حين لم تستجب لأنغامه في حنايا الضلوع عاطفة ! كان الوفاء والحب والحنان المتبادل هي كل معالم الطريق الذي سرنا فيه جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وروحاً إلى روح ... كنت أنسى كل متاعب الحياة حين تلقاني وعلى شفتيها ابتسامة مشرقة ، وفي عينيها بريق المودة من لقاء طويل ، هيأته الأحلام تحت ظل وريف في واد من أودية السعادة !

ومضت بنا الحياة في طريقها تطوي الأيام حتى أقبل يوم لا أنساه ... كان ذلك حين خرجت من البيت ذات صباح ، ثم عدت إليه بعد ساعتين لأمر من الأمور فلم أجدها هناك ! سألت عنها الخادمة الصغيرة فأنبأتني بأن سيدتها لم تعين لها المكان الذي ذهبت إليه .. وساورتني الظنون وانتابني شك قاتل ملح عنيف ... ترى أكانت زوجتي تترك البيت قبل اليوم أثناء غيابي عنه ؟ ! عدت إلى الخادمة الصغيرة أسألها فأنكرت ، وتحت الضرب المبرح لم تجد بداً من الاعتراف ، وأصبح الظن حقيقة ... سيدة محترمة تغادر بيتها مرة في كل أسبوع إلى حيث لا يعلم أحد ، ترى ما ذا يخبئ لي القدر القاهر في جعبته ؟ ! ورحت أذرع أرض الشرفة ذهاباً وجيئة في انتظار الزوجة الغائبة ... وفي غمرة الوعي الذاهل والفكر المحموم ، لم أدر كم من الوقت مر علي وأنا ألتفت إلى كل عربة مقبلة من هنا أو من هناك ، مترقباً أن تكون قد عادت بها من المكان المجهول !

وأخيراً أقبلت عربة تاكسي ما لبثت أن هدأت من سرعتها ووقفت أمام البيت ... وهبطت منها زوجتي ! وأسرعت كالمجنون أهبط الدرج وثباً حتى كنت في ثوان معدودات أمامها وجهاً لوجه ... وحين رأيت لونها قد شحب ، ونظراتها قد عراها الذهول -- رحت أسأل السائق عن المكان الذي ركبت منه ... وفي صوت هامس متلعثم أنبأني الرجل بأنه قد عاد بالزوجة الحبيبة من مقابر الإمام الشافعي !

وصعدنا إلى البيت صامتين ... وحين احتوتنا إحدى حجراته رحت أنظر إلى عينيها الشاردتين ، محاولا أن أستشف سرهما الخبأ وراء قطرات الدموع !

أما هي ، فقد أطرقت برأسها إلى الأرض ، وراح صدرها يعلو ويهبط ، وجسدها ينتفض انتفاضة الحمى ...

وأخيراً أمسكت بيدي بين يديها لتقول لي بصوتها اللاهث المتهدج :

— محمود ... يا زوجي الحبيب ... إغفر لي أن أقول لك كل شيء ... أقسم لك ... أقسم لك أني كنت أضع بعض الزهور على قبره ... لقد عاهدته أن أظل وفية لذكراه ... لقد أقسمت له يوماً أن أظل على عهدي له ... كان ذلك حين ودع الدنيا وتركني من بعده وحيدة ... محمود ... إن قلبي الذي كان له أصبح لك ... حسبك قلبي ... بالله لا تضق بأفكاري إذا اتجهت إليه لتؤنسه في وحشته ... ويدي إذا وضعت يوماً على قبره زهوراً ترطب ثراه ... محمود ... هل تغار من رجل مات ؟ ... تكلم ... تكلم يا زوجي الحبيب واغفر لي ... اغفر لي أني لم أبح لك قبل اليوم بشيء ! !

حاولت أن أتكلم فماتت الكلمات على شفتي ... كنت كمن أفاق إغفاءة طويلة استيقظ من بعدها على حلم مخيف بعث رجفة الفزع في أوصاله !

ولأول مرة شعرت بأن أشباح الشقاء ترفرف على المكان بأجنحتها السود فتحيل النور في عيني ظلاماً ...

وتركتها تنتحب وعدت إلى غرفتي مكدود القوى ، أشبه بجندي عاد إلى بيته بعد المعركة ... عاد ليبحث عن أحبابه بين ركام الأنقاض !

ومرت على ليال لم أذق للنوم فيها طعماً ... حاولت أن أنسى وأن أغفر ولكني لم أستطع ! لقد تكشفت لي الحقيقة الكريهة البشعة ، وهي أن زوجتي لم تكن صادقة في حبها لي ... لقد كان قلبها هناك ، يمسح بيد الذكريات فوق القبر الذي طوى بين جنباته أول أمل !.. سبع ليال مرت علي كأنها سبعة ذئاب جائعة تنشب أظفارها في قلبي ، كنت أشعر شعوراً عميقاً أن هذا القبر الرابض في صحراء الإمام قد سلبني أعز ما أملك ، وأن هذا الفتى المسجى في جوف الثرى لص ... ضل طريقه إلى بيوت الناس وقادته قدماه إلى بيتي وحده ، ليسرق أنفس كنز وهبته لي الحياة !

وكلما نظرت إلى وجه زوجتي بدت لي الدنيا جحيماً لا يطاق ، لقد عاد إلى سابق عهده يوم رأيتها لأول مرة : الحزن العميق والأسى الدفين ! أما عيناها فقد أطل منهما الماضي البعيد ... حار فيهما ألف معنى مبهم أو ألف رحلة طويلة إلى عالم مجهول !

ومن شهر وشهران وثلاثة وكلانا يعيش في العذاب ... العذاب الملح المبرح المتصل الذي تراودني أشباحه الرهيبة في الليل والنهار ، وتقذف بي إلى خارج بيتي أنشد العزاء في الجلوس إلى الناس ! لم أعد أطيق رؤية البيت إلا حين آوي إليه لأنام ، لا تجمع بيني وبينها كسابق عهدنا حجرة واحدة ... كان الخيال يصور لي أن هناك حاجزاً هائلاً يحول بين ضم جسمينا في فراش واحد ، هو ذلك القبر الكئيب البغيض الرابض في صحراء الإمام . القبر الذي كان يخيل إلي أنه يترك مكانه كل ليلة لينعم بأحضان زوجتي حتى الصباح !!

ولم يكن هناك يا صديقي بد من أن نفترق ... ترى هل جنى علي الخيال ؟ لست أدري !.. كل ما أدريه أن حواء قد ذهبت ، وأن زهوري قد ذبلت ، وأني قد طويت القلب على أحلامه وقذفت به بعيداً ... بعيداً في وادي الذكريات .

أنور المعداوي

خوفاً من أبيه!

وأخيراً تهالك «خالد» على مقعده في قنوط وقد أيقن أنه فقد ساعته، فلم يترك مكاناً إلا بحث فيه ولا صديقاً إلا سأله عنها وبالرغم من أن حجرته خالية إلا من أجلاد جسمه، هادئة إلا من دقات قلبه، فإن طيفاً فارع العود منقبض الأسارير راح يحدق فيه مستخفاً بذكائه وعلى شفتيه ابتسامة تهكم وفي صوته نبرة ازدراء!!

وخرج من الغرفة إلى عرض الطريق ضائقاً بذلك الطيف الذي أعاد إلى خياله صوراً كاملة لتلك المواقف التي تكون بينه وبين والده حين يفقد أحقر حاجاته!!...

واستقبله الشارع على غير ما تعوّد. لقد بدا له كالرسوم الحائلة في كراس عتيق! وكأنما أصوات المارة لضعفها تصل إلى أذنيه من بعيد...

وعجزت أضواء الطريق الألاقة ومعروضات المحال الثرية أن تخرجه عن نفسه أو تبعث إليها شعاعاً من أنس..

ولكن محلا لبيع الساعات في نهاية الطريق استطاع أن يخترق بأضوائه نطاق كآبته، وأن يستوقفه أمام معرضه، وأن يملأ نظراته الوزعة بمرأى ساعاته الجذاب...

وأخذت عيناه في لهفة ساعة تشبه ساعته في الحجم والنطاء، وإن كانت دونها في الثمن والرواء!

وهنا افتر ثغره ليبارك فكرة رائعة تفتح عنها ذهنه المضطرب. إن والده لا يستطيع أن يدرك الفرق الداخلي بينهما! وسيكون شراؤها لتعود المياه إلى مجاريها...

ولكن سرعان ما شعر بخيبة مرة تخاذلت لها قدماه وانطبقت شفتاه على حطام ابتسامة... الشراء؟! إن ما معه من المال لا يبقى منه إذا اشترى الساعة ما يسد عوزه إلى أن تبدأ الإجازة التي سيرجع فيها إلى قريته...

وهنا مرت أمام عينيه صور متلاحقة لتلك المواقف التي تكون بينه وبين والده حين يفقد شيئاً من أشيائه، ثم تذكر في مرارة زوجة أبيه وهي تفترس تلك المواقف لتملأ عينيها الوقحة بمنظر دموعه الذليلة وهي تتلمس طريقها على خده الشاحب الهزيل!

وهنا وجد نفسه مدفوعاً إلى شراء تلك الساعة، هازئاً من آلام الحرمان التي سيلاقيها مادام يقاسيها وحده ولن يطلع عليها سواه!

وبعد أسبوع كانت مائدته قد سئمت تلك الوجبات الخشنة، ومعدته قد عافت تلك الأكلات التافهة. وكان قد تعود أن يسمع رفاقه يتساءلون عن تلك الصفرة التي تنطلي وجهه والإعياء الذي يحد نشاطه! واستطاع أن يجيب رفاقه بما تعود من لباقة، وأن يتحمل الألم بما انفطر عليه من صبر..!!

ولكننا نرى نفسه القوية تنهار في يد الألم وتتخاذل في حلبة الصراع مع الأقدار، حين يطلب ناظر مدرسته إلى كل طالب أن يتبرع بعشرة قروش للنشاط الرياضي بالمدرسة!!

لقد شعر بأن القدر يتحداه ويسخر من إبائه بكرامته!! إنه لا يستطيع أن ينكص عن دفع هذا المبلغ لشهرته الرياضية بالمدرسة، ولا يستطيع أن يدفعه إلا إذا قدر أن يبقى يومين بدون طعام

وتحامل الشجاع الجريح على نفسه وصوّب إلى صدر القدر آخر سهم من كنانة صبره وإبائه...

وفي اليوم الذي ابتدأت فيه إجازته كان يسرع على إفريز المحطة ليلحق بالقطار المسافر إلى قريته...

وفي إحدى عربات الدرجة الثالثة ألقى بجسمه المنهوك وجعل يسترجع آلامه المضنية التي مرت به، وكأنه جندي مثخن يشق غليله بمرأى تلاله في الميدان!

واختلجت على شفتيه ابتسامة باهتة كانت تسترجع شجاعته وتستنهض أمله وتزف إليه كرامته في إطار من الثقة...

وسمع صوتاً يهتف من أعماقه: مرحى أيها الجندي الباسل! لقد آن لك أن تلقى الجزاء!! ولكن أي جزاء يا ترى؟؟

لقد راح يتخيل موقف والده منه وقد علم بفقد ساعته وطفق ينحى عليه بألوان من القسوة وضروب من العنف لتكون فرحته أشد حين يعلم أن شيئاً من ذلك لن يحدث!! وازدادت البسمة وضوحاً حين غادر القطار إلى بيته في أقصى القرية، كأنما استردت نشاطها من طول ما نامت على شفتيه...

وفي حجرة من حجرات البيت وقف يقبل يد والده قبلة آلية، ثم رفع رأسه ليرى وجه والده، وكأنما غادر حجرته بالمدينة منذ أسابيع، وسمعه يقول وعلى شفتيه ابتسامة تهكم وفي صوته نبرة استخفاف: ما هذا الذهول الذي لا ينفك مستولياً عليك؟ كيف نسيت أن تأخذ ساعتك وأنت مسافر؟!!

محمد أبو المعاطي أبو النجا

مطبعة الرسالة